



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة



الموضوع:

الفلسفة السياسية عند مدرسة فرانكفورت

- هيربرت ماركيز أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

بوراس يوسف

إعداد الطالبة:

بن الصغير أمينة

سهيلي منال

السنة 2017-2018

** كلمة شكر وعرافا **

نشكر الله العلي القدير الذي أثار لنا درب العلم ومكننا من إنجاز هذا العمل المتواضع
نسأله عز وجل أن يجعله في ميزان حسناتنا
نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل ومؤطر هذا العمل بوراس يوسف الذي كان
قدوة ومثالا حسنا لنا بأخلاقه وجهوده، أدامه الله ذخرا لنا ولجامعتنا
كما نشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا علينا بمناقشة وقراءة هذا العمل
كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والعرافان إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة لإنجاز
هذا البحث سواء من قريب أو بعيد
من دون إسدال ستار النسيان تتوجه بالشكل الجزيل إلى جامعة محمد بوضياف
لمسيلة التي احتضنتنا طيلة مشوارها الجامعي وإلى كل أساتذة وعمال قسم الفلسفة
إلى كل من أعاننا طيلة مسيرتنا العلمية والتعليمية إلى يومنا هذا

مقدمة:

تعتبر الفلسفة قبل كل شيء منهجا معرفيا ونقديا تهدف إلى إنقاذ الإنسان وانتشاله من الجهل والخرافة ونقدها بهدف إنقاذ وعي الإنسان فيها، والحقيقة أن النقد كان ولا يزال من أهم وأخطر الأدوات المعرفية التي من الممكن أن أقوم بها الفلسفة ليس نقد الأفكار فحسب بل وممارستها في الواقع الاجتماعي، وهذا ما قامت به النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت باعتبارها أول تيار فلسفي اجتماعي نقدي ومعاصر بحيث وجه نقده للأفكار الذي دعا إليها عصر التنوير فالتعريف بهذه المدرسة ليس بالأمر السهل فهذه المدرسة أصبحت اليوم أساسا لأغلب النظريات والاتجاهات النقدية وخاصة في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وحتى في الأدب والفن والموسيقى، فقد تبلورت نظريتها النقدية منذ نشأتها محاولين قدر الإمكان توضيح العلاقات المعقدة لأفكار روادها الأوائل وخاصة في علاقتهم مع الهيجلية والماركسية والوضعية من جهة أخرى ونجد على الرغم من انطفاء شمعات أغلب روادها الكبار إلا أن أفكارهم الفلسفية والاجتماعية والنقدية مازلت حية وهذا دليل على حياتها وقوة تأثيرها وفعاليتها التي مثلت جيلا غير اعتيادي مرت لحظته التاريخية مرورا متميزا من روادها المميزين "هاربرت ماركيز" الذي توجه إلى رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الإنسان، وعند النظر إلى المجتمع من ذات بعد واحد، المجتمع الصناعي المتقدم الرأس مالي والاشتراكي مع انه قضى معظم حياته في الو م أ، وهو ما جعل منه معايشة ذلك المجتمع ومعرفة سلبياته، فالثورة التي قام

بها ماركيز جعل من ظهور نظام سياسي جديد ومن هذا الطرح نجد الإشكالية المحورية بالقول: "فيما تمثل الاتجاه الذي سلكه ماركيز من أجل تغيير النظام وتحويله من جذوره؟ ومن هذه الإشكالية ناقشنا مشكلات جزئية: ما هي أهم الانتقادات الماركيزية؟ وما هي بؤر الانتقال من الواقع المعاش إلى البديل الذي ينادي بالحرية والتحرر؟ وفيما تمثلت الثورة الماركيزية؟ وما هو النظام الأمثل في نظره؟.

ومن أهداف دراسة هذا البحث هو التعرف على المدرسة عن قرب وعن مؤسسيها الأوائل وعن الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية والتركيز أكثر على اتجاه "هاربرت ماركيز" بتحديد أهمية فلسفته وأفكاره الأساسية منها والتعمق فيها أكثر.

* واعتمدنا في ذلك على المنهج التحليلي في عرض أفكار ماركيز الفلسفية.

* ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في الدراسة ما يلي: طبيعة الموضوع لصعوبة الأفكار وكذلك عامل الوقت لا يكفي لدراسة هذا البحث من أجل التعمق أكثر بكثير.

* لقد قسمنا مجمل البحث إلى ثلاث فصول:

بعده تأتي الخطة الفصل الأول تحت عنوان مدرسة فرنكفورت، وهو عبارة عن مدخل

شامل حول النشأة ومراحلها والمنهج ومنطلقاتها الفكرية وأهم مؤسسيها من هو "هوركهايمر"

"وأدورنو" وأبرز ممثليها "ماركيز" إلى ممثلي الجيل الثاني "يورغن هاريماس" مع ذكر أهم

المصادر الفكرية للنظري النقدية الهيجيلية والماركسية وغيرها.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان فلسفة هاربرت ماركيز درسنا فيه النظرية عنده وفلسفته أما المبحث الثاني فيه كانت الدراسة حول التعمق في أفكاره الفلسفية وتمثلت في:

- الإنسان والوعي الثقافي .

- الإنسان من الأيروسية إلى الجنسية .

- الوعي بين الحقيقة والزيف.

في الأخير درسنا السياسة الماركيزية في الفصل الثالث فتعمقنا في أفكاره أكثر، لنجد أن ماركيز قام بثورة ضد النظامين الرأسمالي والاشتراكي ونادى بنظام جديد مبینا عوامل أخرى للتحرر، وهو ما درسناه في المبحث الثاني بعنوان التغيير السياسي وبوادر التحرر الجديدة فماركيز رفض النظام القمعي والاستبدادي والتسلطي، وأراد تأسيس نظام يضمن الحرية والسلام، وبهذا وصلنا إلى الخاتمة التي كانت شاملة من بداية البحث إلى نهايته.

الفصل الأول:

مدرسة فرانكفورت

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (نشأتها، منهجها، منطلقاتها الفكرية، مؤسسيها)

المطلب الأول : نشأتها ومراحلها

المطلب الثاني : تعريف النظرية النقدية ومنهجها

المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت

المطلب الرابع: ابرز الممثلين والمؤسسين

المبحث الثاني: أهم المصادر الفكرية للنظرية النقدية

المطلب الأول: نقد الهيكلية.

المطلب الثاني: نقد الوضعية.

المطلب الثالث: نقد الإيديولوجيا.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (نشأتها، منهجها، منطلقاتها الفكرية، مؤسسيها):

المطلب الأول: نشأتها ومراحلها:

لقد مرت المدرسة بجملة من المراحل فظهور المدرسة كان تحت ظروف متعددة ومختلفة.

أولا تأسيس المعهد: "معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي، مقرها سوف يصبح معروفا فيما بعد باسم مدرسة فرانكفورت، تم تأسيسه في عام 1923 وافتتح رسميا عام 1924 وكان المخططون الرئيسيون هم: "فيليكس غايل" و"فريدريك بولوك" و "ماركس هوركايم" ثم أصبح مديرا فيما بعد ، بحيث وهب غايل بالاشتراك مع أبيه وهو رجل الاعتمادات المالية لإقامة مبنى والاتفاق على أساتذته المدفوعة الرواتب << ¹، نجد أن فيليكس غايل قدم مذكرة حول إنشاء المعهد للبحث الاجتماعي سنة 1922 والتي أصبحت فيما بعد تعرف بمدرسة فرانكفورت حيث ان هدفه من هذا البحث والمعهد معرفة وفهم الحياة الاجتماعية في مجملها مع باقي الأعضاء.

ثانيا: مرحلة جرونيرج وأهم إنجازاته: >> اتجه فايل إلى جرونيرج بعد اتفاق بين أطراف المعاينة عليه ليصبح مديرا للمعهد (1861-1940) شاغلا كذلك كرسيًا في الاقتصاد والعلم والاجتماعي في جامعة فرانكفورت في أواخر عام 1923"، بعد إنشاء المعهد عام 1922 كان لابد من اختيار مدير للمعهد يمتلك الإمكانيات وبعد الكثير من المناقشات وقع الاختيار على فايل جرونيرج ليكون مديرا للمعهد .

¹ - فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، تر، خليل كلفن، القاهرة، 2004، ص 21.

تعددت واختلفت انجازات جرونبيرج بعد اعتلاله منصب المدير للمعهد ومن أهم أعماله "أولا الاهتمامات لديه لعبت دورا هاما، ثانيا الكثير من العمل المعهد تجاوز الأفق، وتم انجازه بما يتفق مع روح مذكرة غايل المبكرة كما عارض غايل التقليد الذي ينبغي ان يراعيه أي مدير جديد وتم إدراج ستة فروع للدراسة : المادية ، التاريخية، الأساس الفلسفي الماركسي، الاقتصاد السياسي النظري ، مشكلات الاقتصاد المخطط، علم الاجتماع، تاريخ المذاهب الاجتماعية والأحزاب"¹.

نجد أن من أعمال جرونبيرج لعبت دورا هاما في نشأة المعهد فجرونبيرج قدم الكثير منها : ما شملت الاقتصاد والسياسة، والحالة الاجتماعية وبذلك فقد شملت أعماله مختلف النواحي والمجالات ونجد أن أعماله تناسبت مع إرادة غايل واتفقت مع آرائه وما جاء في مذكرة مع أن أعماله في أواخر العشرين كانت اسمية لا غير وذلك بسبب تراجع صحته وسوء حالته الصحية مما جعله انجازاته الصحية فقط نظرية هذا ما جعل منه يتنازل عن منصبه وعرض المنصب على بولوك ولكنه رفض فقرر أساتذة الفلسفة ترشيح "هوكهايمر".

3 - مرحلة تعيين هوكهايمر:

نجد أن بعد جرونبيرج عين هوكهايمر مديرا جديدا للمعهد لتظهر الكثير من التغيرات في نظام المعهد والعديد من الملاحظات الجديدة والتساؤلات التي طرحها المدير الجديد منها: "ان الموضوع المحوري للمشروع سيكون السؤال التالي : ما الصلة التي يمكن عقدها داخل

¹ - فيل سليتر: مدرسة فرانكفور نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، تر، خليل كفن، القاهرة، 2004، ص 25.

مجموعة اجتماعية محددة في فترة محددة والمنهج الملائم ليس هيغليا مبتذلاً، كما انه ليس ماركسيا مبتذلاً وكذلك القانون والفلسفة عبارة عن صورة للاقتصاد"¹.

"كان أول عمل رئيسي تم نشره في عهد المدير الجديد فرانث بوركيناو والانتقال من النظرة الإقطاعية إلى النظرية البرجوازية إلى العالم، فقد عمله عليه تحت رعاية المعهد وبين هوركهايم ان هذا الكتاب عالج مشكلة مهمة بالنسبة للبحث الخاص بالمعهد أن الكتاب كان مرتبط بالاهتمامات الجديدة للمعهد حيث أن هذه الدراسة للعلم الطبيعي الثوري للبرجوازية عالجت المشكلة الأساسية الخاصة بالعلاقة بين الاقتصاد والثقافة"².

"قام هوركهايم بكتابة مقال حول التاريخ وعلم النفس ومحاوفا أن يقيم علاقة بين التحليل النفسي والماركسية وذلك عن طريق التوسع في تفسير مفهوم فرويد عن تاريخ الفرد من أجل تأسيس علم نفس اجتماعي ماركسي، بحيث يغير دخول التحليل النفسي للمعهد من أهم المميزات التي ميزت هذه المرحلة عن المرحلة السابقة لأنها فتحت آفاقاً أخرى"³.

جعل هور الثاني: التحليل النفسي موضوعاً للمعد وبذلك فقدت شهدت مرحلته تحولا

إيجابياً للمعهد.

¹ - فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، مرجع سابق، ص 35-36.

² - المرجع نفسه، ص 39.

³ - علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ط1، بيروت، مركز الأسماء القومي، دس، ص 49.

4- مرحلة ما بعد هوركهايمر:

"بعد السيطرة النازية في ألمانيا وصعود هتلر إلى الحكم عام 1933 اضطر هوركهايمر وزملاؤه للهروب إلى سويسرا وفرنسا وبريطانيا ومن ثم (الوم أ) إغلاق المعهد أسس هوركهايمر فروعا للمعهد في كل من باريس ولندن ثم في جامعة كولومبيا وفي سنة 1950 ويسقط النازية في ألمانيا عاد بعض الرواد إلى فرانكفورت وعلى رأسهم هوركهايمر وعلى العودة من المنفى بدأت المرحلة الثانية في تاريخ المدرسة ويعتبر أهم ممثليها يورغن هابرماس"¹.

وبعد مرحلة هوركهايمر قاد يورغن هابرماس النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت وقد شهدت فترة رئاسته الكثير من التطورات الحاصلة فهابرماس مثل الجيل الثاني من فلاسفة مدرسة فرانكفورت فجيل هابرماس قاد النظرية النقدية نحو مرحلة الشمول والانتساع وجعلها أكثر تداخلا مع النظرية ومنها: " كما مضى هابرماس إلى صياغة نظرية جديدة للمعرفة وذلك ما نجده في كتابه المعرفة والمصالح البشرية وبذلك نجد ثلاثة أشكال من المعرفة تركز على مصالح مؤسسيها: مصلحة تقنية، علمية، تحريرية، كما أن اقتراح أن النقد ينبغي وضعه بطريقة ما بين الفلسفة والعلم"².

¹ - فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، تر، خليل كفن، القاهرة، 2004، ص 50.

² - توم بتومور: مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبا، ط2، 2004، بيروت، لبنان، ص 125.

المطلب الثاني : تعريف النظرية النقدية ومنهجها

1 - النظرية النقدية:

يرتبط مفهوم النظرية النقدية بعنوان كتاب هوركهايمر: النظرية التقليدية والنقدية 1937 حيث يراها هوركهايمر "بأنها تجاوز للنظريات الوضعية التي كانت ترفض التأملية والانعكاسية منها في التعامل مع الموضوع المرصود زمن جهة أخرى استهدفت النظرية التقليدية تنوير الإنسان الملتزم تنويرا ذهنيا وفكريا وتغييره تغيرا تجريبيا بعد ان حررته من ضغوطه الذاتية عن طريق نقد المجتمع بتعريفه ايدولوجيا"¹.

وعليه فالنظرية النقدية عند هوركهايمر هي كما انطلق فيها رواد المدرسة هي نقد وتجاوز نظريات كالنظرية الكانطية والهيكلية الجدلية الماركسية وهي ما عبر عنه هوركهايمر بأنه تجاوز لما أشبه النظرية للوضعية يفرضه طابع الحياد الذي تتم به محاولا بالنظرية النقدية إخراج الإنسان من الضغوط الذاتية وتنويره ذهنيا وفكريا.

"أن مهمة الفلسفة هي متابعة العملية النقدية والتحري على أشكال الاغتراب ، وقد فهم هوركهايمر ومعه فلاسفة فرانكفورت، الماركسية على أنها العلم النقدي للمجتمع ، وقد أخذت مساهمته شكل تحليل نقدي للعقل، فلئن يكن قد صاغ في الماضي مثل الدلالة والحرية والديمقراطية فان هذه المثل حل بها الفساد في ظل الهيمنة البرجوازية زمن هنا بدت الحاجة للنظرية النقدية"².

¹ - سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، ط2، 2000، ص200.

² - توم بنومور: مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص206.

نفة منهجها: أن النظرية النقدية ظهرت كرد فعل على المثالية الألمانية وكذلك كرد فعل على الوضعية كما أنها هي قراءة نقدية للعقل بطريقة جديدة يحدد كل البعد عن الكانطية والهيغلية من أجل البحث عن أشكال الاغتراب.

2- منهجها:

إن مدرسة فرانكفورت مدرسة وبهذا فمنهجها هو المنهج النقدي، فالنقد كان أساس فلاسفة الألمان وعلى رأسهم هوركهايمر، تيودور، اودورنو، هيربرت ماركيز، ويورغن هير ماس الذين أخذوا على عاتقهم تأسيس فلسفة نقدية قصد تحرير الإنسان من أوضاعه المتسمة بالسيطرة الشاملة فأهم ما ميز المدرسة هو "النقد". "ولقد قامت النظرية النقدية بتوجيه انتقادات جذرية عميق للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها المجتمعات كالعقلانية والحرية و التقدم التقني وما ارتبط بها من وضعية وعلموية وتقنوعلموية"¹.

"إن المنهج هو الطريق الواضح وهو أيضا عند المؤلفين هو السلوك البين والسبيل المستقيم فالمنهج وسيلة محددة توصلنا إلى غاية معينة"².

يفهم من هذا إن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت مارست النقد في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وحتى الادبولوجية.

¹ - كمال بومنيير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الاكهونين، الدار العربية للعلوم ، لبنان، 1431هـ -2012، م ط1، ص8.

² - جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والغربية والإنجليزية واللاتينية، ص436.

المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت :

إن المشروع الذي قدمته هذه المدرسة في بادئ انطلاقاتها لم يأت من فراغ فسبب ظهوره وتطوره جاء من تأثير الحرب العالمية وقيام ثورة البلشفية وإخفاق الثورة الألمانية وظهور الستالينية في الاتحاد السوفيتي والنظم الأمنية والنازية في إيطاليا وألمانيا وسيطرة هذه النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها كل من هذه الوقائع أدت إلى ظهور الطموح الفكري وإعادة الاهتمام بالفلسفة الهيجلية فهذه الوقائع تؤكد أن تفكير مدرسة فرانكفورت هو تفكير أزمة ولهذا فإن مشروع المدرسة وبداية انطلاقاته الفكرية كان سببه النظم التي ظهرت والأزمات التي أحدثتها فاتخذت مدرسة فرانكفورت النقد أساساً لها وهو ما تجلى في فلسفتها فنجد: "النظرية تؤكد أن تفكير مدرسة فرانكفورت النقدي هو تفكير أزمة حسب المعنى الموضوعي للكلمة وفي نفس الوقت تفكير ضد القطيعة والعقائدي بالمعنى الكانطي من هنا وجدت هذه المدرسة نفسها تضطلع بمهمة رئيسية لدى مفكرها إلى الرغبة في صوغ أساس لنظرية وممارسة أكثر قدرة وفعالية على تغيير الظروف التاريخية والتعامل معها بممارسة النقد السلبي بتجاوز أفكار كانط التي ساهمت في تأسيس العقلانية الحديثة"¹.

وبهذا تصبح انطلاقة مدرسة فرانكفورت من تجاوز الأفكار الكانطية فمع ظهور أول مشروع بسبب الأزمات لتلك الفترة الزمنية التي تزامنت مع ظهور المدرسة بدأت انطلاقتها مع هوكهايمر الذي جعل النقد أساسياً في جانبه المعرفي وذلك بوضعه المهام التي وجهت المدرسة كما وجهت أشكال البحث الاجتماعي "حسب هوركايمر في فلسفته النقدية الجانب

¹ - توم بنومور: مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص 19.

المعرفي من منطلق العقلانية كاديولوجيا تستند إلى اليقين المعرفي وهو ما دعاه إلى اقتراح أربع مهام هي الكشف في كل نظرية عن المصلحة الاجتماعية، تأسيس فهم جدلي للذات الإنسانية أن تظل هذه النظرية على وعي يكونها لا تمثل مذهباً خارج التطور الاجتماعي التاريخي، وأخيراً التصدي لأشكال العقلانية¹.

كما أن ماركيز والذي تمسك بالماركسية وأعاد الروح المعرفي من خلال المعايير الحضارية والثقافية كما أعلى من أهمية التقنية وذلك لما أحدثته الثورة المعلوماتية التقنية السابقة فنجد "المدى التقني اصطلاح عليه بالعصر ما بعد الصناعي نسبة إلى التغيير الهائل الذي أحدثته الثورة الإلكترونية والمعلوماتية قياساً إلى التقنية التقليدية السابقة"².

وفي الأخير يمكننا القول بأن أفكار المدرسة بنيت انطلاقاً من مرحلة جرونبرج بإدارة المعهد واتسمت بطابع ثوري أما الثانية مع هوركهايمر والتي تميزت عن غيرها من المراحل ومن بعدها دخول المدرسة في الجيل الثاني والذي كان بعد الحرب العالمية الثانية وكانت مع هابرماس الذي حاول بلورة مشروع جديد للتطوير والعقلانية.

المطلب الرابع: أبرز الممثلين والمؤسسين.

ساهم عدة فلاسفة في تأسيس الفكر الفلسفي لمدرسة فرانكفورت وتكوين النظرية التقليدية نذكر من بينهم فلاسفة الجيل الأول:

¹ - توم بتومور: مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق ، ص24.

² - المرجع نفسه ، ص151.

ماكس هوركهايمر 1895-1973 : ثاني مدير لمعهد البحوث الاجتماعية الذي يعرف عادة بمدرسة فرانكفورت، كما انه ألف عدة كتب باللغة الألمانية ترجمه بعد ذلك ولم يترجم إلى العربية إلى كتاب واحد هو بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية¹.

تيودور اودورنو 1903-1969: "فيلسوف وموسيقي ألماني تقاسمت الفلسفة والموسيقى حياته ، عضو في هيئة تدريس جامعة فرانكفورت كأستاذ، حصر اهتمامه في علم الجمال بتكوين نظرية نقدية جمالية وذلك من كتاب جدل العقل، فقد لاحظ في دراسته الفلسفية والبيوسولوجية النقدية أن إخضاع الفن والثقافة عامة لفعل التصنيع هو مؤشر دقيق على الأزمة التي تعيقها قضية الاستقلال الذاتي للفن البرجوازي مقترنة بأزمة أخرى هو غرق العقل وانهاره داخل الايدولوجيا السائدة"².

هربرت ماركيز 1898-1979 : "فيلسوف ومنظر سيكولوجي وعلم اجتماع انتشرت أفكاره في كثير من الدوائر الفكرية والسياسية في العالم الغربي ، أصبح عضوا في المدرسة عام 1932 كان يعمل معه هوركهايمر وادورنو فروم ، أطروحته الأساسية هي الإنسان ذو البعد الواحد"³.

¹ - توم بتومور : مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص22.

² - علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ط1، بيروت، مركز الإنماء القومي، دس، ص60.

³ - بول لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، تر: سعاد حرب، مصر، ط2، 2005، ص17.

ايريك فروم 1980-1900 : "عالم سيسيوسيكولوجي ومحلل نفسي واشتراكي ديمقراطي ولد بمدينة فرانكفورت ، حاصل على شهادة الدكتوراء في علم الاجتماع ، التحق بمعهد البحث الاجتماعي سنة 1930"¹.

الجيل الثاني: "يورغن هابرماس 2002-1929: يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له أزيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو نصاب نظرية الفعل التواصلي، ساهم في كتابه الأبحاث النظرية والتجريبية بمعهد الدراسات الاجتماعية داخل مدرسة فرانكفورت"².

¹ - علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركايمر إلى هابرماس، مرجع سابق، ص 17.

² - فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها)، تر: خليل كلفت، ط1، 2000، ص 64.

المبحث الثاني: أهم المصادر الفكرية للنظرية النقدية

المطلب الأول: نقد الهيجلية.

يبرز العقل والثورة [وهو العرض الأكثر ترابطاً الذي قدمته مدرسة فرانكفورت فيما

يتعلق بالانتقال من هيجل إلى ماركس] شكلي النظرية النقدية:

إن هيجل أقر بالنظام السياسي والاجتماعي الذي حققه البشر على أنه الأساس الذي

كان ينبغي ان يتم تحقيق العقل عليه وقد وصل نظامه الفلسفي بالفلسفة إلى عتبة نفيها وكان

يشكل بالتالي حلقة الوصل الوحيدة بين الشكل القديم والجديد للنظرية النقدية بين الفلسفة

والنظرية الجديدة¹.

وتبذل مدرسة فرانكفورت قصارى جهدها لإعداد نظرياتها ومقولاتها بالرجوع إلى هذه

العملية التطورية، ورغم أن أنصارها يجحدون مثالية هيجل في نهاية الأمر، فإنهم يحاولون

أن يكشفوا المحتوي النقدي لفلسفته الجدلية .

كان الكتاب الذي تناول فيه ماركيزوز نظرية الوجود عند هيجل كأساس للفلسفة

التاريخية وهو أول كتاباته الهامة، وهو رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه وقرأ فيه

ماركيزوز فلسفة هيجل قراءة انطولوجية هيدجرية وان لم تخلو من أثر مادي ثم اصدر كتاب

"العقل والمادة" الذي تابع فيه نشأة النظرية الاجتماعية من فلسفة هيجل نقداً ماركسياً، مما

دعى هابرماس إلى وصفه بأنه أول ماركسي هيدجري.²

¹ - فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها)، تر: خليل كلفت، ط1، 2000، ص64.

² - حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هاربرت ماركيزوز، ط1، دار النشر، بيروت، 1971.

إن ماركيز يعارض ابتداء التفسير التقليدي لهيجل الذي يرى أن الحركة هي نشاط التوسط بين الفكر والوجود، رغم أن هذا التفسير يعتمد على اتجاه عند هيجل نفسه للتخلي عن اكتشافات كتابه "ظاهيرات الروح"، تلك الاكتشافات التي تمثل الاتجاه الأكثر أصالة بالنسبة لماركيز، والذي يتبدى أيضا في كتابه المنطق، وهو اتجاه أنطولوجي يتعلق بالمفهوم الأنطولوجي للحياة وبتاريخيتها ويطرح نشوء الوجود بوصفه حركة حية، هويتها الوجود والمنطق والمعرفة، أي هويتها التقليدي يفقد الحركة طابعها الأنطولوجي لأنه لا يفهمها إلا باعتبارها شيئا ما متعلق بالفكر والوجود¹.

يقرر ماركيز أن كل الوجود عند هيجل هو في تضاد وتقابل مشروط وشارط معا، فالكرسي لا يكون ما هو عليه، بوصفه كرسيًا إلا حينما توجد منضدة لا تكون في الكرسي، وكذلك المنضدة لا تكون ما هي عليه، بوصفها منضدة إلا حينما يوجد كرسي لا يكون هو المنضدة، ويمثل ذلك الطريقة التي تحدث بها الأمور في البعد الأفقي، يحدث الأمر نفسه في البعد الرأسي، أي في التتالي الزماني، فكل موجود هو أيضا صيرورة، أي عملية من التحولات²، وهكذا تستطيع القول أن كل موجود هو وجود صائر وصيرورة "وجود" آخر هو عملية تغاير لا متناه ترتبط بتغاير لا متناه من الموجودات الأخرى، وهذا ثراء لا متناهي يضيع فيه العالم الموضوعي، ولكنه بالنسبة للفهم فهو بالتأكيد ليس شيئا آخر غير العدم ومع ذلك فهو المطلق الذي صدر عنه كل وجود محدد وكل متناهي.

¹ - هربرت وماركيز: نظرية الوجود عند هيجل، مرجع سابق، ص 41-42.

² - المرجع نفسه، ص 52-53.

يقدم ماركيز انتقادات للمرجعيات السابقة التي تغذي من خلالها منهجه النقدي، لم يقف لدى حدود التأثير كما أشرنا أين سنحاول فيما يلي استعراض البعض منها، فإذا ما حاولنا استعراض الانتقادات التي وجهها لهيجل وجدنا ربما صعوبة في استظهارها ذلك بحكم الحضور البارز لفلسفة هيجل داخل الخطاب الماركيزي ودفاع هذا الأخير عنه، أو ربما بسبب الانتقاء الذي ميز أسلوبه وهو ما يشير إليه الدكتور (حسن محمد حسن) بقوله: "وفي تصورنا أن معالجة ماركيز لهيجل كانت ذات طابع أحادي لمعين أن ماركيز قد تغاضى عن كثير من الجوانب الأخرى في فكر هيجل ... ولذلك فقد كان ماركيز انتقائياً في النصوص التي رجع إليها ولم يلتفت إلى النصوص الأخرى التي تقول عكس ذلك"¹.

وتتجلى بعض الانتقادات التي يوجهها ماركيز لهيجل ضمن آرائه السياسية بشكل أخص، حيث أن هيجل في منظور ماركيز يقيم نوعاً من الاستكانة ضمن مفهومه حول الدولة المطلقة المجسدة لنهاية التاريخ التي يقف عندها الديالكتيك فيتجسد المطلق في الدولة فكأنما ماركيز يشيد بالديالكتيك وصيرورته لكنه يرفض نهايته، فلا يخفي ماركيز دهشته من التحول الهيجلي الذي يقوم التاريخ كثورة وكتغير أين تكون حركة التاريخ مسيرة دائمة يحاول فيها المطلق التحقق أكثر، ولذلك فإنه لا ينبغي للديالكتيك أن ينحو إلى المردود السلبي بقدر ما هو مدعو لأن يكون إيجابياً خلافاً للتغيير، ذلك ما يبرزه في كتابه (العقل والثورة) "أن القدرة على التفكير السلبي هو القوة الدافعة للفكر الجدلي التي تستخدم أداة لتحليل عالم

¹ - حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هيريت ماركيز، ص 123.

الوقائع من خلال ما فيه نقض باطن".¹ فتلك ميزة الجدل الأساسية التي تميزه عن الفكر العادي الذي لا يحمل بداخله أي نزوع ثوري.

المطلب الثاني: نقد الوضعية.

وجه الرعيل الأول لمدرسة فرانكفور انتقاداته الحادة إلى النزعة العلمية المفرطة وأنساقها إلى إيديولوجيات تستند إلى نقيض معرفي ومعتقدات إيمانية، فكلها في نظرهم قد غدت أنظمة عرفية مغلقة تعتمد أشكال تنظيمية مقننة للحياة الاجتماعية، من خلال إسقاط آليات فهم الظواهر الطبيعية على الظواهر الاجتماعية²، بمعنى أنها أصبحت إيديولوجيات شمولية تنظم علاقات الإنسان بالإنسان والإنسان بالأشياء، فقد وجه هابرماس انتقاداته أيضا لكل من النزعتين الوضعية والتجريبية انطلاقا من كون المهمة الفلسفية تقتضي ذلك من أجل كشف الوهم الإيديولوجي الكامن من وراء النزعتين معا لأنهما تمثلان وجهين لعملة واحدة.

وعلى هذا النحو يلاحظ هابرماس في كتابه العلم والنفسية كإيديولوجيا بأن المعرفة العلمية أصبحت مرتبطة بالحسابات وتفسير الوضعية من هذا المنظور تعبيراً عن هذه المشروعية للنظم السياسية القائمة، لقد تأسست على نطاق واسع عملية الترجمة التي تحققت بين السياسي و الاختصاصيين من أجل البحث والتطوير³. ضمن هذا يكفي هابرماس ما

¹ - هيربرت ماركيزوز: العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 18.

² - حسن مصدق: يورغان هابرماس ومدرسة فرانكفور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص308.

³ - يورغان هابرماس: العلم والنفسية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، 2003، ص 124.

يسمى بالحباد العلمي، فالعلم من المنظور الوضعي لا ينفصل عن المهلة، بل هناك ارتباط بينهما.

وفي كتابه المعرفة والمصلحة الذي دخل به في نقاش جذري ضد النزعة الوضعية وحاول إعادة بناء تاريخ المذهب الوضعي المعاصر، حضر تحليل ترابط المعرفة والمصلحة¹، لأجل ذلك عمل هابرماس على بلورة مفهوم جديد أطلق عليه مصطلح العقلانية التواصلية.

والأمر الذي جعل رواد مدرسة فرانكفورت يقعون في مواجهة معارضة للنزعة الوضعية التجريبية هو محاولة الكشف العقلانية بوصفها البات للتسلط والهيمنة، التي طورت العقل النقدي تحت ستار العلم ومن أجل العلم ويدعوى الحياة والموضوعية العلمية².

ويمكن أن نجمل النقد العنيف الذي قام به رواد فرانكفورت في العناصر التالية:

- لا تجعل النزعة الوضعية الحديثة إلا بالتجربة الخالصة والمحضة ووحده التجريب الذي تقوم به العلوم سيحقق لقب المعرفة وما عداه يلقي به في قمامة التاريخ.

- تنظر النزعة الوضعية للحاضر كحدث تم إنجازه.

- تعلن السوسيولوجيا التجريبية أنه كل ما يمكن ملاحظته لا يعدوا أن يكون في نظرها

أشياء.

¹ - يورغان هابرماس: المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، القاهرة، 2006، ص 31.

² - حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص 304.

- لقد وجه فلاسفة مدرسة فرانكفورت انتقادات حادة إلى النزعة الوضعية التي ادعت الموضوعية والحياد، وتؤكد على الوقوف عند حد الملاحظة والاختبار عند دراسة الظواهر الاجتماعية، فإنها تقر الوضع الاجتماعي القائم وتعارض سبيل أي تغيير جذري له، ويعتبر هذا مدعاة للحفاظ على الوضع الاجتماعي القائم والمصالح المهيمنة فيه ويؤدي هذا إلى التخلي عن النقد المجتمعي، فالنقد لم يعد به مصداقية وكل من المعرفة والفكر شأنهما شأن العلم لم يعد لهما من غاية إلا إعادة إنتاج المجتمع¹.

المطلب الثالث: نقد الإيديولوجيا.

لقد عتاد المنظرون الأوائل منذ ظهور المجتمع البرجوازي إلى الإشارة إلى الإيديولوجيا على أنه "الوعي الزائف" وقد خلص أدورنوا إلى أن ظهور مفهوم الإيديولوجيا مرتبط بالمجتمع البرجوازي وليس بالمجتمع الصناعي، وتعتبر صناعة الثقافة التي ترجع جذورها إلى القرن الثامن عشر المولد للإيديولوجيا، وهي غير منفصلة عن تاريخ المجتمع البرجوازي.

ويعتبر علم الاجتماع المعاصر الإيديولوجيا كقاعدة كوسويولوجيا المعرفة، أي توصف للتكون الثقافي والتمثلات الشرائح الاجتماعية المختلفة، بالإضافة إلى العلاقة بينهما وبين الوضع الاجتماعي، فعلم اجتماع المعرفة ينظر إلى معنى الحياة الإنسانية من منظور الثقافة أو القيم السائدة فيه.

¹ - حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص 38.

وعلى العموم يرى أدورنوا أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بالإيديولوجيا عن طريق أبحاثه في التواصل، ووضعه إلى جنب المنتجين والمستهلكين لصناعة الثقافة الموضوعة بهدف إنتاج معارف محدودة وعقل محدود، غير أن علم الاجتماع إذا أراد أن يصبح ناقدا للإيديولوجيا يجب عليه أن يحلل وسائط الاتصال العامة ويدرس "سيناريوهاتها التي تعرف بثقافة الجماهير، والتي تصب بعناية بالغة في تبرير ما هو موجود والسيطرة المحكمة على الذوق والنقد على حد سواء".¹

على العموم تعلن تلك الإيديولوجيا أنه ليس هناك ما هو أحسن مما هو كائن وهذه الثقافة دعائية ليس إلا، وما تنفك تتحول رويدا رويدا إلى إرهاب، عندما تعمل على إقرار الوضع القائم كأمر لا مناص أو بديل عنه.

¹ - هيربرت ماركيزوز: العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 1970، ص 55.

الفصل الثاني

فلسفة هاربرت ماركيز

المبحث الأول: ماركيز

المطلب الأول: حياته ومؤلفاته

المطلب الثاني: النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز

المطلب الثالث: ماركيز وفلسفته.

المبحث الثاني: أهم أفكاره الفلسفية

المطلب الأول: الإنسان والوعي الثقافي

المطلب الثاني: الإنسان من الايروسية إلى الجنسية

المطلب الثالث: الوعي بين الحقيقة والزيف

المبحث الأول: ماركيز

المطلب الأول: حياته ومؤلفاته

في حياة كل عظيم فترة حاسمة هي تلك التي تأتيه فيها الشهرة ونبال إشراف المجتمع، بعد أن كان مغروراً، وفي أحيان غير قابلة تأتي هذه الشهرة متأثرة حتى تقرض الأعمال الكبيرة نفسها على مجتمع ظل يتجاهلها، وقم يأبى إشراف المجتمع بها إلا ما هي عليه، دون أن يطرأ عليها تغيير جوهري، مع ذلك تقبل عليه الشهرة في المراحل الأخيرة من عمره، نحن نتحدث عن أستاذ الفلسفة الأكاديمي وسياسي ماركي "هاربرت ماركيز" ولد في برلين عام 1898 بوالدين يهوديين وقد درس الفلسفة في جامعة برلين... فرايبورخ على يد الفيلسوف الألماني الكبير هايدغر وحصل من هذه الجامعة الأخيرة على درجة الدكتوراه في الفلسفة وكان موضوع رسالته عن أنطولوجيا هيغل وعلاقتها فلسفته في التاريخ¹.

ولقد انتشرت أفكاره في الكثير من الروائد الفكرية والسياسية في العالم الغربي وقد أصبح عضواً في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت عام 1932 وكان معه في نفس المعهد هوركايمر وفروم وادورنو.

اضطر ماركيز إلى مغادرة ألمانيا بعد تولي هتلر الحكم إلى باريس ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1940، وهو في مجمل آرائه متأثر بثلاثة مفكرين هم هيغل وماركس وفرويد لكنه ينقدهم جميعاً².

¹ - فؤاد زكريا: هيربرت ماركيز، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2005، ص... .

² - عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1983م، ص 441.

وينتقد ماركيز المجتمع الأمريكي بوجه خاص لأنه يمثل النموذج الأوضح للمجتمع الصناعي المتقدم¹.

ترتكز أفكار ماركيز السياسية حول 3 مسائل كانت موضع نقاش في دور الطلاب في العالم الرأسمالي والحركة الطلابية، في فرنسا عام 1986 ودور الطبقة العاملة الحديثة في الغرب، هذا وقد آمن ماركيز بقوى ثورية جديدة ستظهر في المستقبل داخل المجتمع الحديث وسيتم التحرر الاجتماعي عن طريق الإشباع الجنسي كما بين ذلك في كتابه "الحب والحضارة".

ولو شئنا أن نستخلص أهم المعالم في حياة ماركيز فسنجد أبرزها:

- 1- انتمائه إلى أسرة يهودية وهو الانتماء الذي ظل ماركيز متمسكا به
- 2- اتجاهه إلى التعاطف مع الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا
- 3- استغلاله لمدة طويلة في أعمال تقدم نشاط الحكومة الأمريكية المتعلقة بالشؤون الروسية وشؤون أوروبا الشرقية بوجه عام.

4- اتخاذ الولايات المتحدة الأمريكية وطننا ثانيا

توفي هاربرت ماركيز عام 1979 أثناء زيارته لألمانيا مع يورغان هابرماس فيلسوف

الجيل الثاني من مدرسة فرنكفورت نتيجة لسكتة دماغية.

¹ - عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 442.

أهم مؤلفاته:

1- العمل والثورة 1941:

وهو كتاب يتناول الدراسة الجدلية في النظريات الاجتماعية لهيغل مع إعادة تفسيرها وتعبئها عبر كيركغور وقبورياج وماركس وتبين أثر هيغل في النظريات الاجتماعية خلال الثلاثينات وربطها بنشوء النظريات الفاشية.

2- الحب والحضارة 1955:

يرى ماركيز في هذا الكتاب المجتمعات الغربية تتخذ من الجنس وسبله لتتنازل وذلك لضمان استمرارها.

3 - الماركسية السوفياتية 1958:

في هذا الكتاب انتقد ماركيز التطبيق السوفياتي للماركسية وأشار إلى اتجاهات تحريرية داخل النظام السوفياتي تنفقت في الثمانينات في عهد غورباتشوف.

4- الإنسان ذو البعد الواحد 1964:

وهو أهم أعماله على الإطلاق بحيث وجه فيه نقدا مشتركا للمجتمعات الرأسمالية والشيوعية بحيث أن المجتمعات الصناعية الحديثة خلقت احتجاجات وهمية للإنسان ومن خلال أجهزة الإعلام والإعلانات ثم توجيه جميع أفراد للفكر الاستهلاكي.

7- نظرية الوجود عند هيغل:

يعتبر أحد أهم كتب ماركيز هذا الكتاب يقدم وحدة الأنطولوجيا والمنطق ونظرية المعرفة عند الفيلسوف الكبير هيغل أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي.

المطلب الثاني: النظرية النقدية عند هربرت ماركيز

احتل هاربرت ماركيز موقفة المتميز في خارطة الفكر الغربي عبر سجال فلسفي رفيع مع مصادره وأفكاره ومفاهيمه الرئيسية وانطلاقاً من حساسيته النقدية المرفهة تمكن من تحويلها إلى منهج في التفلسف والتفكير وقد أتاح له هذا المنهاج النقدي وضع مسافة بين فكره وبين معظم الاتجاهات الإيديولوجية السائدة بحيث يمكننا اعتباره واحد من كبار النقاد لروح العصر، أخذ ماركيز على عاتقه مهمة الكشف عما يلبس هذه الحضارة من خلل ونقائص كامنة في طبيعة تكوينها ونسق القيم التي تحركها.

وظهر مصطلح النظرية النقدية بشكل أكثر نضجا عندما نشر دوركهايمر عام 1937 دراسة بعنوان النظرية التقليدية والنظرية النقدية، فهو يرى إن النظرية النقدية تؤكد على الصبغة النقدية للعقل وتجعل الإنسان صانعا لظروفه التاريخية بأسلوب لا يخلو من النقد المستمر فيقول: "إن النظرية النقدية تحافظ على تراث الفلسفة.... وتهدف إلى تحرير الإنسان من القيود التي تجثم عليه"¹.

¹ - هوركهايمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة: مصطفى الناي، موجز المقالات، ط1، بيروت، 1990، ص77.

تبلور تفكير ماركيز من خلال حوار صامت أجراه مع هيجل وماركس نيتشه ومن خلال حوار حقيقي أجراه مع هايدوجر قد كان تأثير هيجل هو الأسبق وهو الذي ظل ملازما له حتى النهاية¹.

واستطاع ماركيز أن يؤسس لنظريته النقدية عبر نظراته للنظرية العقلانية الاجتماعية بصفاتها نظرية نقدية في فحواها وماهيتها لأنها تخضع لنقد عملي ونظري إيجابا وسلبا، والبعد الهيجلي يمكن لمحه في فهم ماركيز للتاريخ على أنه مسار استلاب والجدل فيه هو الجدل السلبي، جدل النفي العقلي المتتالي والمتشكل بصورة نقد (كما شخصت الماركسية ذلك بصورة مشابهة) وفي ذلك يقسم ماركيز محركات النقد إلى قسمين:

الأول: الموقف المتكون لدى الإنسان باعتباره حاملا للعقل عضويا، أي أنه يمتلك القدرة على التمييز وأن يشكل وجوده بحرية اعتمادا على سعادته الدنيوية.

الثاني: الموقف والمستوى الذي يتحصل عليه الفرد من خلال تطور قوى الإنتاج وعلاقاته مطابقة أو صراعا فيما بينها، وذلك لكونها معيارا لعملية البناء العقلانية التي يقوم بها الإنسان باتجاه المجتمع².

علاوة على ما سبق، فإن النظرية النقدية على دراية بما يحدد المعرفة الإنسانية والفعل العقلاني الاجتماعي، إلا أنها لا تتسرع في ترسيم تلك الحدود وتركن إلى عدم إلقاء

¹ - فؤاد زكرياء: هاربرت ماركيز، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2005، ص11.

² - مجموعة مؤلفين: مدرسة فرانكفورت النقدية "جدل الاعتراف والتحرر والتواصل"، ص 38.

الجزاءات والأحكام بشكل غير نقدي¹.

ويقدم ماركيز تكميلاً لصورة النظرية النقدية في نقدها للعلم وتحالفه مع المثاليات أو الفكر الشمولي التقليدي، كما أنه يشيد مهمة متميزة للفلسفة، اليوم، تتسم بكشف الزيوف وتوجيه النقود لانحراف مسار المجتمعات وضياعها في غياهب التشيؤ، والهيمنة التقنية، يقول ماركيز: "إن النظرية النقدية للمجتمع تتمسك أساساً بأن المهمة الوحيدة المتروكة للفلسفة هي تطوير أشد نتائج العلوم عمومية، وهي أيضاً تأخذ كأساس لنظرتها، إن العلم قد أظهر على نحو كان قدرته على خدمة تطور قوى الإنتاج وإتاحة إمكانات جديدة لوجود أحسن... غير أن هذا لا يعني النظرية من نقد دائم للأهداف، والمناهج العلمية التي تدخل في اعتبارها كل موقف اجتماعي جديد"².

يليه تأثير ماركس ومعه نيتشه وفي المرحلة التالية كان تأثير فرويد ثم هيدوجر، كل هذا يوحي أن تفكير ماركيز قد سار في ميادين منفصلة.

يبرز ماركيز مكانة النقد في الفكر المعاصر وفي علاقته بالمجتمع الحدائي مستندا على فلسفة النفي الهيجلية التي وجد فيها المرجعية الأساسية، لقد أسس مبادئ الفكر المعاصر، فهاغل يرى "أن الوجود المباشر للعقل ألا وهو الوعي ينطوي على لحظتين المعرفة الموضوعية القائمة في مواجهتها لـ ضد سالب"³، واستناداً على هذا التصور الهيجلي

¹ - هيربرت ماركيز: فلسفة النفي، دراسات في النظرية النقدية، ترجمة مجاهد عبد المنعم، منشورات دار الآداب، ط1، بيروت، 1971، ص 28.

² - المرجع نفسه، ص 28.

³ - طاهر علاء، مدرسة فرانكفورت، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، ص 50.

أراد ماركيز نقد وتفكيك المجتمع الصناعي المعاصر، فبدلاً من أن تكون التكنولوجيا قوة تحريرية في خدمة الإنسان المعاصر أمست عقبة في وجه التحرر، بتحويله إلى أداة وعقله إلى عقل أدواتي.

نجد ماركيز نقد العديد من النظريات، فقد نقد هيغل، بحيث أن فكرة السلب أو النفي تمثل مكانة كبرى في فلسفة هيغل، فلا سبيل لفهم الوعي أو الشعور إلا بالطريقة ديالكتية أي إنكار الذات، بمعنى "أن الجدالية باعتبارها حركة نافية كما هي مباشرة تظهر للوعي أولاً"¹.

ففي سنة 1941 بدأت كل أعمال ماركيز تظهر بالإنجليزية وكان أهمها "العقل وثورة" كعرض نقدي للوضع المنطقية ومواجهتها بتفكير قائم على الرفض، حيث يستهل ماركيز العقل والثورة بالكلمات التالية: "ألف هذا الكتاب ... لا في حياة هيغل بل في إحياء ملكة عقلية يماني عليها خطر الضياع، ألا وهي القدرة على التفكير السلبي"². فقد منح الرجوع الماركيزي للأصول الهيغلية نحتاً جديداً للمفهوم النفي، الذي يقصد به السلب والرفض، ففي جانبه النظري يعني به النقد وفي جانبه العملي هو التمرد.

تتمحور وظيفة النظرية النقدية الماركيزية في إدخال البعد الاجتماعي كمنطلق أساسي لتفسير وفهم الإنسان، بدل الاقتصار على المفاهيم الفلسفية المجردة والمطلقة، فقد

¹ - هوركهيمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة مصطفى الناي، ط1، بيروت، 1990، ص 77.

² - طاهر علاء، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص 06.

أصبحت الفلسفات المادية انطلاقاً من هذه النظرية ذات صلة بالنظرية الاجتماعية من خلال الاهتمام بالسعادة البشرية.

ولاعتبار أن أصحاب النظرية النقدية لا يريدون التضحية بالفلسفة أمام هجوم النزعة الوضعية، لهذا انتقدوا الوضعية وعملوا على تفكيك مكونات النسق الفلسفي ولا سيما النسق الهيجلي¹، واعتماداً على هذا نجد أن النظرية النقدية جعلت من الفلسفة نقطة تجاوز بين مفاهيم الوضعية والهجلية، فنجد ماكس هوركهايمر في الثلاثينات من القرن 20 انتقد النزعة الوضعية ضمن محاولته الكشف عن تهاوتها وذلك لأنها تعامل البشر بوصفهم حقائق وأشياء مجردة، وأقامت تفسيراً مطلقاً بين الحقيقة والقصة، ومن ثم فصلت المعرفة عن المصطلح البشرية²، وبناء على ذلك فإن مفاهيم وقيم العدالة والحرية والسعادة والتسامح وغيرها من القيم الإنسانية التي طالما دافع عنها الفلاسفة الذين عملوا على تحرير الإنسان من العبودية والخوف والأوهام، إذ لا يمكن أن يتحقق كل ذلك بما تدعيه الوضعية التي سلبت العقل كل علاقة بهذه المفاهيم أو القيم الإنسانية واكتفت بالوقائع والتجارب والموضوعية.

أما ماركيز فلم يخف تأثره بأستاذه هايدغر بخصوص موضوع نفسه، أما تيدور أدورند، فقد انتقد بدوره الوضعية واعتبر رؤيتها قاصرة ومضللة، وتحجب عن الفهم الصحيح

¹ - محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، كنموذج هابرماس، ص 30.

² - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، طرابلس، دار أوبا، 1998، ص 41.

لطبيعة الحياة الاجتماعية، وتقدم تعبيراً مشوهاً للواقع، وبقدر ما تنمو المعرفة العلمية التي أخذت طابعاً أدائياً بقدر ما يجد الإنسان أن آفاق حريته وسعادته تنقلص¹.

نفهم من هذا أن أدورنو اشتغل ليصير الإنسان الغربي المعاصر، وذلك على الرغم أنه يعيش اليوم في مجتمعات جعلت الحرية والتقدم شعاراً لها.

أما ماركيز فلم يخف تأثيره بأستاذه هيدنر بخصوص موضوع التقنية²، وهي الفكرة القائلة بأن التقنية أصبحت تمثل في المجتمعات المعاصرة نوع من السيطرة الكلية على الإنسان، فقد أكد ماركيز على الطابع الاجتماعي والتاريخي في معالجة مسألة التقنية، فقد كان هدف ماركيز هو إبراز وكشف آليات السيطرة التي تقر في ظل هيمنة التقنية التي أصبحت في عصرنا تحدد مسار التطور التاريخي للمجتمعات.

المطلب الثالث: ماركيز وفلسفته.

إن المحلل لفكر ماركيز يجد أن النقد الفلسفي عنده يعمل وفق اتجاه ثنائي يكمل أحده الآخر، إذ يتركب من ثنائية وظيفة الأهداف هي:

1- البحث عن الأساس الواقعي للمفاهيم الفلسفية المجردة، أي محاولة ربط المثال بالواقع.

2- الاتجاه إلى كشف الأساس الفلسفي للحركات الاجتماعية الواقعية.

¹ - كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، ط1، 2012، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 15.

ومن الواضح أن الاتجاه الأول للنقد عند ماركيز لا يعترف باستقلال الفلسفة الذاتي فهو يقوم بربطها ووصلها بميثاق الواقع القائم¹، أي واقع العلاقات الاجتماعية التي تمنح الصبغة الحقيقية لهذه المفاهيم وهو بذلك يجعل تطورها ونموها جزءاً لا يتجزأ من التطور الذي مرت به الكيانات الاجتماعية البشرية في كفاحها من أجل حياة الحرية وقهر الظلم والاستعباد.

أما الاتجاه الثاني للنقد يؤكد الطابع الفريد والمميز للفلسفة وهو طابع الاستقلال الذاتي لمفاهيم الفلسفة الأساسية، وهو ما يعوض سلبية الاتجاه الأول، مع جعل طابع الفلسفة النظري وراء كل حركات التاريخ الأكثر واقعية، والأكثر تأثيراً في حياة الناس العلمية، فهو محركها الأساسي²، وعليه فالفلسفة هي التيار الخفي المتحكم في كل ما يظهر على السطح من اتجاهات وتيارات مناهضة للأنظمة.

ترتبط الفلسفة عند ماركيز بالنقد بشكل وثيق، ذلك أن الفلسفة ترتبط بالجانب العيني* العملي في علاقة مع المعيش الفردي، فهي لن نقد ومفارقة تجريدية أي لا تكتفي بذلك فحسب فينبغي لها أن ترتبط بما هو عيني واقعي وعليه فإن الأسلوب الفلسفي الماركيزي يرتسم ضمن اتجاهين اثنين أحدهما تجريبي والآخر تجريدي، "فالالاتجاه الأول يبدو وكأنه يقضي على الطابع المميز للفلسفة من حيث أنه لا يعترف بالاستقلال الذاتي

¹ - فؤاد زكريا: هيربرت ماركيز، عالم الفكر، ص 246.

² - المرجع نفسه، ص 247.

* - العيني: هو ما دل على الموجود بالفعل والوجود العيني هو الوجود الخارجي المقابل للوجود الذهني. ينظر: جميل صليبا، ج2، مرجع سابق، ص 115.

للمفاهيم ثم فهو يرفض على أن تكون للفلسفة تطور تلقائيا مستقل غير أن الاتجاه الثاني يعوض الأول ويعلو للفلسفة قيمتها الخاصة بل إنه يجعل الفكر الفلسفي مندثا في أسد حركات التاريخ عينية وأقواها فاعليته في حياة الناس الاجتماعية¹.

إن الفلسفة باتجاهها العيني التجريدي إنما تؤسس لجوهر نقدي يلتقي فيه ما هو نظري بما هو عملي موجه نحو البنية الاجتماعية، فماركيز يحاول أن يوسع من نطاق البحث الفلسفي، وجعله أكثر فاعلية عبر تكامل بين الاتجاه العيني والتجريدي لتطور المفاهيم.

نفهم من هذا أن نموذج البحث الفلسفي الذي يوجد ماركيز طرحه لا يعالج المفاهيم الفلسفية بصورة منعزلة عن الواقع الاجتماعي السائد، بل يحاول كشف المضمون الاجتماعي للمفاهيم الفلسفية ليس البسيطة منها فحسب، بل الأشد تجريدا كذلك.

إن تفكير ماركيز يعد في واقع الأمر نموذجا للبحث الفلسفي الذي لا يكتفي بمعالجة المفاهيم أو المذاهب بصورة تجريدية تقرر لها عن مضمونها الاجتماعي، بل هو يحاول دائما كشف هذا المضمون حتى في أشد المفاهيم تجريدا، وهو من جهة أخرى ينقب عن الأسس الفلسفية للحركات والتيارات الاجتماعية في عصرنا الحديث بوجه خاص، ويؤمن بأن هناك من وراء كل ممارسة عملية أساسا نظريا تستطيع الفلسفة أن تعبر عنه تعبيراً كافياً².

¹ - حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هربرت ماركيز، مرجع سابق، ص 151.

² - فؤاد زكريا، هربرت ماركيز، مرجع سابق، ص 13.

وهكذا يتبين لنا في موقف ماركيز من الفلسفة، اتجاهان متكاملان، أولهما الاتجاه إلى كشف الأساس العيني المستورد من تجربة المجتمع العقلية، للمعاني والأفكار الرئيسية التي تحكم في مسار الفكر الفلسفي، وثانيهما هو الاتجاه المقابل الذي لا يكتفي في تحليله لأي حركة اجتماعية بالوصف المباشر بل يمضي في التحليل حتى يكشف لها أسس فلسفية عميقة¹.

نفهم من هذا أن ماركيز أثناء تحليله لمذاهب الفلسفة من عملية فكرية ذات اتجاهين، فالأول يكون لأشد المفاهيم تجريدا والثاني فهو الكشف عن الأسس الفلسفية للتيارات الاجتماعية في عصرنا الحالي.

ويقدم ماركيز تكميلا لصورة النظرية النقدية في نقدها للعلم وتحالفه مع المثاليات أو الفكر الشمولي التقليدي، كما أنه يشيد مهمة متميزة لفلسفة اليوم، حيث تتسم بكشف الزيف وتوجيه الانتقادات لانحراف مسار المجتمعات وضياعها في الهيمنة التقنية، يقول ماركيز: "إن النظرية النقدية للمجتمع تتمسك أساسا بأن المهمة الوحيدة المتروكة للفلسفة هي تطوير أشد نتائج العلوم عمومية"².

يفكر ماركيز في البعد الجمالي كمرجع من أزمة الشيء والضياع في أروقة التقنية فيقول "يمكن أن يعيدنا الجمال على نحو ما بفضل مزاياه في تحسين ما نكون عليه مجتمع حر"³.

¹ - فؤاد زكريا: هاربرت ماركيز، مرجع سابق، ص 13.

² - ماركيز: فلسفة النفي، مصدر سابق، ص 167.

³ - هاربرت ماركيز: نحو الثورة الجديدة، مصدر سابق، ص 53.

نفهم من هذا أن الجمال يساعدنا على التحرر وأن الحاجات الجمالية ذات محتوى اجتماعي.

ويرى ماركيز أن الاحتجاجات السياسية الراهنة ما هي إلا ضرب من ضروب الخيال والتحرر التي تشكل بعدا جماليا، فهما يمثلان شرطان وثيقان للتغيير الاجتماعي.¹ لم يكن اهتمام ماركيز بالجمالية والفن منفصلا عن فلسفته، مما دفعه ماركيز إلى القول بأن البعد الجمالي الاستيطيقي يمثل بعد تحرر، ضمن هذا السياق كانت الجمالية خلاصا من العقلانية التكنولوجية، التي أحكمت قبضتها على الإنسان المعاصر²، فأصبحت الجمالية هي ملاذه الأخير الذي قد ينقله إلى وضع إنساني متحرر.

انطلاقا من هذا يمكننا القول أن الفن في منظور ماركيز ليس هروبا من الواقع ولا انطواء على ذات يئست من تغيير واقعها، بل ينطوي الفن على إرادة الإنسان في تغيير واقعه³، تستطيع القول أن الجمالية تتضمن بعدا سياسيا ما دام أن الفن يمثل قوة احتجاج ونقد لما هو قائم.

فمن خلال الشكل الفني يمكن أن يقدم الفن صورة أخرى جديدة التي تجعله يمثل ذلك البعد الإنساني المتضمن صورة الحرية والسعادة والعدالة، يقول ماركيز ضمن هذا السياق "إن هنات الفن الجذرية أي وضع الواقع القائم موضوع اتهام واستحضار صورة جميلة

¹ - هربرت ماركيز: نحو الثورة الجديدة، مرجع سابق، ص 57.

² - كمال بومنيير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، ص 55.

³ - المرجع نفسه، ص 56.

للتحرر، تركز تحديداً إلى الأبعاد التي بها يتجاوز الفن تعيينه الاجتماعي ويتعنف من العالم القول والسلوك المتواضع عليهما، وعندئذ يجري تعرف العالم الذي يخلقه رهن على أنه عالم كبوح ومشوه، من قبل الواقع المعطى¹، نفهم من هذا أن الفن في منظور ماركيز لا يستطيع أن يغير الواقع مباشرة لكنه يستطيع أن يساهم في تغيير وعي ودوافع الناس الذين يستطيعون تفسير الواقع.

¹ - هربرت ماركيز، البعد الجمالي، ترجمة جورج طرابشي، دار الأدب، بيروت، ص 19.

المبحث الثاني: أهم أفكاره الفلسفية

المطلب الأول: الإنسان والوعي الثقافي

شملت تحليلات ماركيز النقدية المجال الثقافي من حياة الإنسان والمجتمع في محاولته لإدراك حقيقة التحول الذي خضعت له مكونات الثقافة في المجتمع الصناعي المتقدم وكان ذلك انطلاقاً من معاشته واقع المجتمع وعلى الخصوص المجتمع الأمريكي، إن تحليل ماركيز للواقع الثقافي القائم يحصل من خلال "مقارنته بالرصيد الثقافي الموروث فيلاحظ التحول الكبير والقصد الذي حل بالموروث الثقافي وبآدابه وفنونه، وما تضمنتها من قيم الحق والخير والجمال، تلك التي تميزت في فترات سابقة للمجتمع الليبرالي بالتسامي عن ما هو قائم وتعمل دوماً على تجاوز هذا الواقع، أما الوضع الثقافي القائم في المجتمع فالصناعي المتقدم مختلفاً على ما كان عليه حيث أصبحت الثقافة الرفيعة على نطاق واسع ومتداولة بين الناس"¹، لقد لاحظ ماركيز أن المجتمع الرأسمالي المؤسس لمبدأ الحرية والعدالة والمتقدم صناعياً مؤسس على قيم ثقافية مماثلة جعل للثقافة ربيعة مناخاً ملائماً لها فجسد نموذجاً ثقافياً مغايراً لما كان سائداً لذلك نجد أنه امتاز بالتنوع في مكوناته كما نجد أنه وظف الكثير من الموروث الثقافي السابق وبما أن الثقافة تتضمن التعدد والتنوع أصبحت الثقافة الرفيعة على نطاق واسع ومتداولة بين جميع الناس كما تبين أن الوضع الثقافي للمجتمع الصناعي المتقدم مختلف على ما كان عليه وتجاوز الواقع.

¹ - هربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الأدب، ط3، بيروت، 1988، ص93.

يرى ماركيز أنه لما كانت الثقافة تتضمن التعدد والتنوع جعل من بعض النماذج الحديثة التي اقترحها المجتمع الصناعي القائم متنافرة مع النماذج النوعية الأخرى وللد من هذا التوتر الحاصل تفرض العقلانية التكنولوجية من خلال وسائلها البديل المنسجم مع ما هو قائم لذلك لجأت عقلانية المجتمع القائم لإبقاء مكونات الموروث الثقافي السائد كما أشار ماركيز إلى تصفية الثقافة الثنائية البعد لا تتم عن طريق أفكار أو رفض القيم الثقافية ذاتها وإنما من خلال إحتواء تلك الثقافة ودمجها بالنظام القائم، وعندما تتوحد الثقافة الرفيعة مع الثقافة المادية للمجتمع فإنها تفقد منه خلال هذا التحول القدر الأكبر من حقيقتها وجوهرها".¹

ينادي ماركيز بالثقافة الرفيعة ويعتبرها ضرورية لخلق عالم بديل كما أنه يرى بأن الثقافة لا تكون عن طريق أفكار أو رفض للقيم الثقافية بل بضرورة دمج الثقافة بالنظام القائم كما أنه يرى أن الآليات التي تضرب الثقافة الرفيعة هو تجاوز التسامي فالثقافة الرفيعة عند ماركيز جزء من عملية التسامي عند الواقع وتجاوز الواقع للتسامي الثقافي والثقافة الرفيعة ومن الملاحظ أيضا أن الإنجازات التكنولوجية وما تتسم به من إبداع وفعالية تبهر الإنسان كونها في خدمته وتحسن من ظروفه تجعل منه يتخلى عن العناصر المتساوية في الثقافة الرفيعة فحسب ما يشير ماركيز أن تصفية الثقافة البعد عن طريق فرز العناصر المتعالية والمعارضة فيها لا تتم عن طريق نفي القيم الثقافية وطرحها بل عن طريق دمجها بانتظام وعن طريق إعادة إنتاجها وتوزيعها على نطاق واسع.

¹-حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ط1، ص192.

حسب ماركيز تلجأ العقلانية الماركيزية إلى دمج عناصر الثقافة الرفيعة بالواقع القائم مع إعادة تشكيلها وتوزيعها على مجال واسع بحيث تكون متاحة لكل جمهور ولا تكون حبيسة الأقلية من ذوي ذهنيات عالية بحيث يرى "إن هذا الإجراء لأول وهلة يبدو أنه يخدم الصالح العام لكن المتأمل فيه وفي نتائجه من شأنه أن يصادر عنصر التسامي في الثقافة الرفيعة وتمتد تأثيراته ليفقد الإنسان القدرة على التفكير في ما وراء مبدأ الواقع".¹

انتقد ماركيز الوضعيون لاكتفائهم بقراءة ما هو موجود فحسب وكذلك يرفض أسلوب العقلانية التكنولوجية في تصفيتها للثقافة الرفيعة لأن الثقافة قيم تدخل في التركيبة الذهنية للإنسان كما أن العقلانية التكنولوجية تهدف إلى إحداث دمج المثل العليا والواقع من أجل توزيعها على نطاق واسع كنموذج جديد للثقافة وجعلها ثقافة جماهيرية فعل غير صائب لأن النتيجة حتما حسب ماركيز هي فصل الثقافة عن ذهنية الإنسان لأنها تفقده التفكير يقول "إن الثقافة الرفيعة للغرب (...) كانت ثقافة ما قبل تكنولوجيا بالمعنى الوظيفي والتاريخي للكلمة وكانت تدين بقوتها لتجربة عالم لم يعد له وجود ولا يمكن العودة إليه لأن المجتمع التكنولوجي قد جعله مستحيلا بكل ما في الكلمة من معنى..."²

إن ماركيز لا يرفض التكنولوجيا بل يرفض أن تستغل أدواتها لتصفية كل ما هو أصيل في الثقافة الرفيعة، ورفض فكرة الإقصاء والسيطرة وبالتالي يدعوا إلى تصحيح وضع

¹ - هربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 93.

² - المصدر نفسه، ص 93.

إنساني، كما أن عمليات التحويل مستمرة التي تعتمد على التكنولوجيا دليل على قدرة الثقافة ما قبل التكنولوجيا ودليل على أصالتها.

المطلب الثاني: الإنسان من الأيروسية إلى الجنسية

حسب ماركيز أنه إذا ما تأملنا أكثر في الحرية الجنسية وممارستها نجد أنه من الضرورة وضع سلم الأخلاقية وضع الانضمام لأسلوب الإتضاع لم يمارس في مجال الثقافة الرفيعة بل وجد أيضا على حياة الإنسان الجنسية كما أن أدوات العقلانية التكنولوجية عكفت على توزيعها في نطاق استهلاكي واسع وتتقدمه إغراءات وسائل الإعلام، وهناك كفيات متنوعة لتجسيد وترسيخ الجنسية ويبدو أن "الواقع التكنولوجي بإضعافه الإيروسية وتقويته الطاقة الجنسية يقيم حدود للتصعيد والتسامي ويجد في الوقت ذاته من الحاجة إلى التصعيد"¹.

إن ماركيز يرى في هذه الممارسة اتضاعا مؤسسا يهدف إلى السيطرة على الطبيعة الغريزية للإنسان ومنه يسهل عليه التحكم في ردود أفعاله وتنميته على الشاكلة التي تتفق وبهذا تخضعه إلى سيطرتها كما أن الرومانسية في رأيه توظف على النحو الذي يجعل منها مصطلح تغيير وازدراء فماركيز كما دمج ما هو ثقافي متسامي ضمن ما هو اجتماعي واقعي كذلك دمج ما هو أيروسية متسامي مع ما هو قائم وواقعي فيتجسد بذلك التصور الجديد للحياة الجنسية يقول "نشر الجنسية المادية الآتية وهكذا يندمج الجنس في الحياة

¹ - هيربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق ، ص 109.

العامّة وفي علاقات العمل فإن قدرة غرائز الحياة بمعنى ما تغدو مدنيته وفي الوقت نفسه قد تم ترويضها".¹

إن ماركيز يرفض اختزال الإنسان في بعده المادي كما يرفض أن تمتد يد السيطرة لتتال من الطبيعة الغريزية للإنسان خاصة ما يتعلق بغرائز الحياة الإيروس فماركيز يأمل في بناء حضارة تتجانس فيه قوة اللوغوس وتتكاثف مع الإيروس لتخرج الإنسان من دائرة التشكيل المستمر ومنه القدرة على المعارضة ومنه القدرة على التطور نحو آفاق أفضل للحياة الإنسانية فالأيروس إمكانية كامنة في الإنسان تمكنه من أن يتجاوز عالمه ذا البعد الواحد فحاول إبراز مجالاتها حيث يرى أن الحضارة المتقدمة تمتاز بالسيطرة السياسية والتكنولوجية على العوامل المتعالية في الوجود الإنساني وهذه السيطرة تؤكد على دائرة الغرائز إذ تتم التلبية بصورة تولد الخضوع تلقائياً وتضعف عقلانية الاحتجاج وهو نفس ما قال به فرويد بمنحى مغاير حيث يرى فرويد "إن الحضارة قائمة على إخضاع دائم للغرائز الجنسية فمتى كان للإنسان رغبة تعذر تلبيتها لتناقضها مع سلم القيم الأخلاقية أو الجمالية فإنها تكبت لآلية التسامي وتتحول إلى تلبية قيمة أعلى وهكذا ينتج السلوك الحضاري ومنه فكلما زاد التسامي زاد الكبت" إن هذا حسب فرويد وما يراه ماركيز مغاير لذلك الذي تسعى إليه العقلانية التكنولوجية إلى تجسيده حيث أزال التسامي قد تم بالفعل في مجتمعنا ولكن الأشكال التي تحدث فيها تبلغ من الكبت حدا يعادل مكان التسامي قد بلغه في المجتمعات السابقة ذلك أن إطلاق الرغبة الجنسية يجري في حدود ضيقة جدا بحيث تتشبع هذه الرغبة

¹ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 3، 2005، ص 569.

في الحياة الاجتماعية بطريقة سطحية فقط وبهذا يؤكد ماركيز على القدرة العقلانية اللاذاتية على إزالة أي تعارض على مختلف المستويات فقد أزيل التسامي بفعل عملية الاندماج بين الإيروسية الجنسية لكن يبقى أن الكبت يتزايد ويضاهي مستويات التسامي لمجتمعات ما قبل التكنولوجيا ومنه فالنتيجة التي يخرج بها ماركيز هي تعامل غير سليم مع الطبيعة الغريزية للإنسان وهو اجراء الذي تعكف عقلانية المجتمع على تثبيته كمنط حياتي بديل وبهذا تلمس اتفاق بين ماركيز وفرويد في نظرتهم في الإنسان على أنه وحدة متكاملة وإن اختلفا في السبيل إلى الوصول بالإنسان إلى الوضع الأمثل والمناسب لوجوده وقد أشار ماكنثير إلى هذا الانشغال حيث أكد أن فرويد شأنه شأن ماركيز يقتصر الإنسان وحدة بشرية طبيعية متكاملة ينشد السعادة ولكن خيبة الأمل والهزيمة هما النتاج الدائم لهذا السعي...¹

المطلب الثالث: الوعي بين الحقيقة والزيف

تضمن التحليلات ماركيز للمجتمع الصناعي المتقدم توظيف لمقولاتي الحقيقي والزائف فاقترنت دلالات الأول في الإبعاد المفقودة في حياة الإنسان بينما اقترنت دلالات الزيف والنشويه بما هو قائم فكما أورد استعماله للوعي الحقيقي قابله بالوعي الزائف ويرى ماركيز بإمكانية إدراك حقائق الأمور "فالتمييز بين الوعي الحقيقي والزائف يبين المصلحة الواقعية والمصلحة الفورية لم يفقد شيئاً من دلالاته ولكن هذا التمييز بحاجة إلى إثبات والبرهان وعلى كل إنسان أن يكتشفه وأن يبحث عن الطريق التي ستقوده من الوعي الزائف

¹ - السيد ير ماكنثير، ماركيز، تر: عدنان الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1971، ط1، ص65.

إلى الوعي الحقيقي من مصلحته الفورية إلى مصلحته الواقعية".¹ إن ماركيز يبحث عن الأساس الذي تتحدد بموجبه الحقيقة ومنه يمكن معرفة الحقيقة من الزائف فميز ماركيز بين الزائف والحقيقي انطلاقاً من المصلحة الواقعية والمصلحة الفورية منادياً أنه على كل إنسان اكتشاف هذا التمييز بالبرهان فهو الذي سيقود من الزائف إلى الحقيقي من المصلحة الفورية إلى الواقعية فنجد أن "إذا كان أفلاطون قد حدد أساساً تمثل في المثال المفارق لعالم الأشياء المتغير وإدراكه يحصل بالعقل فإن الفلسفة الحديثة وهي الفلسفة التي تم تبنيها من طرف البرجوازية ترى لواء الفلسفة الحديثة قد فسرت العلاقة بين الماهية والمظهر في فجر عهدها على أساس استقبال الذات العاقلة"².

يفهم من ذلك أن ماركيز يقيم ويبرر الحقائق النهائية الكامنة التي تتوقف عليها حقيقة نظرية وعلمية وبذلك تأكيد على ضرورة تحكيم العقل لمعرفة الأصل الحقيقي من الزائف وبذلك يرفض ماركيز إلى جعل ما هو غير عقلائي بصورة عقلائية فتأكيد العقلانية التكنولوجية إلى جعله كمقياس لما حقيقي يعتبر زيف وتشويه لما هو حقيقي، فماركيز لا يرفض المنجزات التقنية بل ضرورة معرفة الإنسان لحاجياته الحقيقية أو ما تتضمنه من أبعاد تسمو بالوجود الإنساني وتتجاوز التشكيل اللاعقلاني فالإنسان لا يمكنه أن يميز بين الحقيقي والزائف إلا إذا امتلك وعياً حقيقياً وأن يقوم برفض واستبعاد كل ما هو لا عقلائي فهو مؤثرات لا عقلائية تشوه وعي الإنسان لوجوده ومظاهر حياته لذلك نجد ماركيز يؤكد

¹ - هربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 30.

² - قيس هادي أحمد: الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ط1، ص 84.

"وضع نسق تتسجم فيه الأدوات مع الغايات وبذلك يحتفظ للإنسان بإمكانية التفكير المثالي لتحرر عن السلطة ما هو واقعي فهو يقابل بينما هو حقيقي وبين ما هو واقعي فعلي فيرفض اعتبار الحقيقة مرادفة للواقع ويرى أن هذه المسألة تجريبية عملية ذلك أن الاقتصار على الواقع الفعلي كما هو حسب رأيه استسلاما لغير الحقيقة ويتمثل هذه الأسس يمكن أن يكون وعي الإنسان حقيقيا وليس زائفا".¹

يرفض الماركيز اعتبار الحقيقة مرادفة للواقع فذلك بالنسبة له هو استسلام لغير الحقيقة أي إلى الزيف كما أنه يرفض التفكير الإيجابي الذي إذا ما تعدد الواقع وتبنى التفكير السلبي إذا ما قادنا إلى الرؤية الصحيحة وإلى الحقيقة كما أنه يرى أن التفكير السلبي يصح الاتجاه العام العقلانية التكنولوجية فهو يريد من العقلانية أن تخدم الإنسان دون أن تسيطر عليه أي بدون غائية ما.

جعل ماركيز من الوعي موضوعا للتأمل محاولا إدراك طبيعته وآليته وبين خطورة تسلط وعي معين على حياة الإنسان.

¹ - السيدير ماكنثير، ماركيز، مرجع سابق، ص 24.

الفصل الثالث

السياسة الماركيوزية

المبحث الأول: الثورة الماركيوزية

المطلب الأول: ماركيوز بين واقع الثورة وأحلام الفلسفة

المطلب الثاني: النضال ضد الليبرالية

المطلب الثالث: نقد الاشتراكية

المطلب الرابع: انغلاق العالم السياسي

المبحث الثاني: التغيير السياسي وبوادر التحرر الجديدة

المطلب الأول: وهم الحرية

المطلب الثاني: اليسار الجديد

المبحث الأول: الثورة الماركيزية

المطلب الأول: ماركيز بين واقع الثورة وأحلام الفلسفة

*ماركيوز زمن حياته العلمية:

كان أستاذا للفلسفة وقد طرأ على تفكير ماركيز تحولا أساسيا فما كان يلقيه من محاضرات أصبحت تعاليم يهتدي بها الشبان الثوريون في أنحاء واسعة من العالم "الأمر الذي يلفت النظر بحق في تطور هذا الفيلسوف أنه لم يضطر إلا إلى إدخال تعديلات طفيفة على أفكاره الأساسية التي عرضها قبل فترة الحرب العالمية الثانية، واقتصر على تطبيقها على الظروف المتجددة التي أعقبت هذه الحرب دون تغيير جذري لها".¹

لقد استطاع بحويته ومرونته بأن يلهم ملايين من الشبان، فتفكيره الذي اهتدى به الكثير من الشباب ظل فترة طويلة وعلى مر أزمنة طويلة. فقد كان لأفكاره تأثير لا يمكن إنكاره.

بالرغم من انتشار فكر ماركيز ونجاحه العلمي الهائل خلال فترة الشباب في الستينات من هذا القرن وانتشاره الواسع في مختلف بلدان القارة الأوروبية والأمريكية "إلا أن الشباب الثوريون لا يمكنهم أن يتمسكوا طويلا بتعاليم ماركيز لسبب بسيط أن هذه التعاليم أضرب بكثير كمن أحلام الفلاسفة منها إلى الواقعية الثوار أنها في صميمها تعاليم نظرية لها بريق خلاب".²

¹ -فؤاد زكريا: هيرت ماركيز، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005، ص57.

² - المرجع نفسه، ص57.

يعتبر ماركيز الفن هو صميم الاحتجاج على الواقع القائم هذه هي ماهية الفن عنده
 "إن الفن مرتبط بالإيديولوجيات المتصارعة ففي النظام السوفياتي يقوم بتصوير الواقع محاكيا
 الطبيعة متجاهلا وظيفته بوصفه رفضا للواقع وفي المجتمعات الرأسمالية يفقد الفن الثورية
 إذ يندمج في المجتمع ويتمسك بمبدأ الواقع ويدعم النظام القائم بدلا من محاربه وتجاوزه إذ
 يقضون على ثورته".

ومعنى هذا أن ماركيز يرى أن الفن السوفياتي المجسد وفي المجتمع الرأسمالي هو
 فن مزيف وليس فن صحيح وفي رأيه بأن كلاهما يبدعان ويتجاوزان ثورية الفن، فالفن
 بالنسبة له هو الفن الذي يوحي بحقيقة خاضعة لقوانين مخالف للقوانين القائمة، ومع ذلك
 فإن آراء ماركيز عن الفن بوصفه قوة ثورية رافضة للنظام القائم تنطوي على قدر مفرط من
 التعميم "إذ ما يسمى بخروج الفن عن قوانين القائمة هو نوع من المغالطة التي تستغل الخلط
 في استخدام لفظ "القوانين" بين القوانين السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية من جانب
 وقوانين الإدراك أو رؤية العالم من جانب آخر، فالأولى متغيرة أما الثانية فهي مشتركة بين
 جميع الناس".¹

إن ما عناه ماركيز بقوله أن الفن قوة ثورية رافضة للنظام القائم وأنه يخرج من
 القوانين القائمة يقصد بذلك هو الجانب الثاني للقوانين المشتركة بين جميع البشر لأنه
 يمنحها رؤية غير عادية فهو لا يقصد إطلاق قوة تنثور ضد القوانين بمعناها السياسي أو
 الاجتماعي.

¹ - فؤاد زكريا: هبرت ماركيز، مرجع سابق، ص 51.

ونجد أن ماركيز يميل إلى الفن التجريدي لأنه أشد الفنون ثورية "يعيب على الفن السوفياتي في نزعته الطبيعية التي يرى فيها خروجاً عن الفن الحقيقي بماضيه من رفض للواقع والابتعاد عنه"¹. إن آراء ماركيز الجمالية ليست مجرد نظرية في الفن بل تحتل في إطار الفلسفة موقعا أهم من ذلك "ومن أجل الهدف ينبغي أن يثور إنسان اليوم على عالمه الذي لا يقدم إليه الحب ولا الجمال إلا في إطار مبتذل، بخدم أغراض الريح ويحقق للنظام هدف المحافظة على نفسه"².

المطلب الثاني: النضال ضد الليبرالية

إذا كانت الليبرالية هي مجموعة الأفكار التي ترتبط بالحرية الفكرية عند الأفراد أي أنها ذلك الأسلوب الفكري الذي يعتمد على العيش المشترك داخل المجتمع الواحد، دون وجود أي تمييز بين الأفراد بحيث يحقق لكل فرد تبني الأفكار السياسية والدينية والاجتماعية التي يريدونها ولا تفرض عليه أية أفكار أخرى ومن واجباته احترام أفكار الآخرين.

ماركيز يرى "أن الليبرالية بمقارنتها بالواقعية العرقية البطولية هي نظرية عقلانية، وعنصرها الحيوي هو الإيمان المتفائل بالنصر الأقصى للعقل الذي سيحقق نفسه فوق كل صراعات المصلحة والرأي في تناغم مع الكل إن الليبرالية وهي تتمشى مع آرائها الاقتصادية إنما تنسب هذا النصر للعقل، فإمكانية وجود منافسة حرة ومفتوحة للآراء المتباينة والمختلفة"³.

¹ - فؤاد زكريا: هوبرت ماركيز، مرجع سابق، ص 52.

² - المرجع السابق، ص 53.

³ - هوبرت ماركيز: فلسفات النفي "دراسات هي النظرية النقدية"، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، الطباعة والتضيد دار يوسف كمال للطباعة، ط 1، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2012، ص 31.

يبين ماركيز أن الليبرالية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقلانية "العقل" وبين أنها في شتى المجالات مرتبطة به سواء اقتصادياً أو سياسياً انطلاقاً من مبدأ تعدد الآراء والأفكار المتباينة والمنافسة في جميع المجالات يظهر العقل فيها ليعلم عن النعم "إن كل الاتجاهات التي تستمد منها المطالب السياسية الليبرالية صدقها النظري مثل حرية الكلام والصحافة والدعاية والتسامح والحكم البياني، هي عناصر للعقلانية الحقة"¹ إنه وبما أن التنظيم الاقتصادي مبني على المنافسة الحرة للأشخاص المشتغلين بالاقتصاد الحر والحوار الحر فإن كل الاتجاهات تستمد الليبرالية التي صدقها النظري من الحرية من العقلانية الحقة كما أن الليبرالية مزودة به عامة عقلانية ونحن نجد "الليبرالية الرأسمالية أن عقلانية القانون وعقلانية المشروع وهما عنصران عرض لهما ماكس فيبر على أنهما حاسمان من أجل روح الرأسمالية الغربية إنما تتحققان إلى مدى غير معروف من قبل، لكن عند هذه النقطة نفسها، تقف العقلانية الليبرالية ضد قيود لا تريد هي نفسها أن تأخذها على عاتقها، إن العناصر اللاعقلانية تتسرب إليها وتفجر تصورهما النظري الرئيسي"² وبهذا نجد أن الدولة لا تنظم فقط الملكية فحسب، بل تأكد على الحصول لأكبر قدر ممكن من الربح والاستقرار وبهذا كما الرأسمالية عقلانية القانون والمشروع فعقلانية الحياة الاقتصادية نفسها نفس التنظيم الاجتماعي هي عقلية الليبرالية خاصة وهو ما يتخللها من قيود هي لعناصر لا عقلانية تدخل فيها وتفقدتها التصورات النظرية الرئيسية، "من خلال هذه الخصوصية لا عقل ينتزع

¹ - وبرت ماركيز: فلسفات النفي "دراسات هي النظرية النقدية، مصدر سابق، ص31.

² - المصدر نفسه، ص32.

ببناء المجتمع تماشياً مع العقل من الغاية التي يفترض أنه يزودها بهدفها تماماً كما أن اللاعقلانية تنتزع من مصدرها عن طريق وظائف العقل وهكذا افتقد التصميم العقلاني والشرط العقلاني لهذه "العمومية" التي يفترض أن تحقق فيها سعادة الفرد وإلى هذا المدى يكون لوم حديث الليبرالية عن المصلحة العامة أو الإنسانية في إطار التجريدات المحض الصحيحة¹ وبهذا فإن عقلانية الليبرالية بين المصالح العامة والخاصة تبين أن المصالح العامة خارج مجال العقلانية أي أنه في مجال اللاعقلانية وبهذه الخصوصية تفتقد العمومية الشرط العقلاني ويصبح اللوم حديث الليبرالية عن المصلحة العامة لأن نظام الكل أو العامة يترك للقوى اللاعقلانية كما أنه تتوقف مرونة العقلانية الليبرالية عندما يصبح "التناغم بين المصالح العامة والخاصة مفروض أن ينجم هو نفسه من المجرى المطرد للممارسة الخاصة وهو ما جعل المجتمع الرأسمالي من الرأسمالية التجارية الصناعية القائمة على المنافسة الحرة للمقاولين الأفراد المستقلين إلى الرأسمالية الاحتكارية التي تتطلب فيها علاقات الإنتاج المتغيرة وبهذا النظرية الاقتصادية تعلن بوضوح السبب الذي من أجله تصبح الليبرالية الآن العدو للنظرية الاجتماعية"². يمكننا أن نبين أن الليبرالية هي التي تنتج الدولة التسلطية الشمولية من نفسها باعتبارها مرحلة أكثر تقدم وهو ما جعل المجتمع الرأسمالي يتحول من الرأسمالي التجاري إلى الاحتكاري، هذا ما نجده أن التنظيم الشمولي والنظرية يحتويان على عناصر جديدة تتجاوز النظام الاجتماعي الليبرالي ونفيه وبهذا "إن التنظيم والنظرية يبينان رد

¹ - وبرت ماركيز: فلسفات النفي "دراسات هي النظرية النقدية، مصدر سابق، ص32.

² - المصدر نفسه، ص33.

فعل جدلي وواضح ضد الليبرالية إلا أنها تفرض لتحقيقها القضاء على الأسس الاقتصادية والاجتماعية الجديدة يجب ألا يجري تفسيرها بكل بساطة على أنها عملية للتكيف الإيديولوجي"¹، إن ما رأيناه وتبين أن الكل استعبد من عملية الفعل العقلاني ونسبة إلى اللاعقلاني وهذا يعتبر حذفاً خطيراً من جانب النظرية الليبرالية لأنها حسب التنظيم والنظرية أن الليبرالية لتتحقق تقشي على الأسس الاقتصادية والاجتماعية.

المطلب الثالث: نقد الاشتراكية

إن الاشتراكية هي ذلك النظام الاقتصادي المتميز عن الرأسمالية فالاشتراكية هي الدعوة إلى الملكية العامة في إدارة وسائل الإنتاج والموارد لجميع أفراد مع أسلوب المساواة في التعويض ونجد أن ماركيز نقد الاشتراكية بقوله "لن يكون الفرد في مجتمع اشتراكي أدرك على هذا النحو مشرقاً بعد لتقسيم العمل، بل على العكس يستطيع أن ينمي بحرية، مواهبه واستعداداته، ومع ذلك آية كانت الفعاليات التي يقع عليها اختيار أولئك الأفراد الكاملين داخل جمال الحرية فإنها تطيل فعاليات فراغ في الوقت، ما لها أن تفقد ميزتها فعاليات طليقة إذا هو بشكل جماعي مكثف وواقع الحال أن هذا هو مالها المحتم لأن المجتمع الاشتراكي بالغاً ما بلغ من الأصالة لأن الاشتراكية لن تلغي مجال الضرورة ولن يكون الإنسان حقيقة حرة"²، ماركيز في نقد الاشتراكية أن يبين حقيقة كيف يكون الفرد في المجتمع الاجتماعي بما أن النظام الاشتراكية هو ذلك النظام الاقتصادي الذي يدعو إلى

¹ - وبرت ماركيز: فلسفات النفي "دراسات هي النظرية النقدية، مصدر سابق، ص33.

² - وبرت ماركيز: نحو ثورة جديدة، تر: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، د، ط، 1971، ص41، 42.

الملكية العامة في وسائل الإنتاج مع المساواة فماركيوز من هذا الجانب يرى بأن الفرد يستطيع أن بحرية مواهبه واستعداداته لكن هذه الحرية تظل مضيعة للوقت فالاشتراكية لن تلغي مجال الضرورة ولكن بذلك فإنها تقضي على حقيقة أن يكون الفرد حرا ونجد أن ماركيوز في نقده للنظام السوفياتي "كان بدوره من الوجهة الموضوعية هجوما على التجربة الكبرى التي تحدثت العالم الرأسمالي وما زالت تتحداه إلى اليوم وينبغي أن نلاحظ في هذا الصدد أن نقد ماركيوز للنظام السوفياتي يمكن أن يكون له أعظم التأثير في العالم الغربي على وجه التخصيص لأن النقد الذي يأتي من أنصار الرأسمالية لا يحدث صدى كبير لأهم خصوم السوفياتي والاشتراكية ويكون دائم الشك في موقفهم النقدي أما ماركيوز فهو خصم للرأسمالية"¹.

نقد ماركيوز الاشتراكية من جانب الموضوع لأنه ناقد للرأسمالية وكما هو معروف أن الرأسمالية بأنصارها نظام معادي للاشتراكية فنجد أن ماركيوس نقد النظام العادي للاشتراكية في حين انتقد الرأسمالية بشكل كبير فينتقده للاشتراكية أسدى خدمة كبيرة للرأسمالية فماركيوز بالنسبة له أن الرأسمالية تربط العمال بالوفوة الاستهلاكية وتنتزع منهم بذلك مخالهم الثورية فالنظام الرأسمالية بالنسبة له يقضي على ثورية الطبقات التي هي بطاعتها قدرة على الثورة ويسلبها القدرة على معارضة النظام المستبد القائم لأنه يمنحها الوفرة ويغرقها في نعم الحياة الاستهلاكية وبهذا نجد أن ماركيوز يتخذ موقف النقد للطرفين معا الرأسمالي والاشتراكي فهو لا يفرق بين النظامين من حيث مسؤوليتهما على الاستبداد

¹ - فؤاد زكريا: هيرت ماركيوز، مرجع سابق، ص 72.

بالإنسان فكلا النظامين يخدمان مصالحهما الخاصة فوصفهما باستعباد الإنسان مما جعل الفيلسوف ينادي بالثورة والتغير فرسم معالم للحياة الجديدة ومجتمع جديد "الاشتراكية وعلى سبيل المثال التأمينات الاجتماعية الفعلية أو حماية الطبيعة من الهدام أو إنشاء مؤسسات للخدمات العامة قد تمس بأرباح على القطاع الخاص وهذا المنطق الكلي الإستبدادي يجد مقابلة في بلدان المعسكر الشرقي"¹ يحالو ماركيز هنا أن يبين أن النظام الاشتراكي في هذه الحالة نظام استبدادي يقضي من أجل الملكية العامة على الملكية الخاصة وبذلك يقضي على حرية الفرد، فماركيوز في رأيه "التأميم الجزئي أو تعميم مساهمة العمال في التسيير وفي تقسيم الأرباح لن يبدل شيئا من طبيعة نظام السيطرة هذا ما دام العمال يشكلون قوة إيجابية ودعما لهذا النظام"².

يبين ماركيز أن النظام الاشتراكي وإن كان ينادي بالملكية العامة والمساواة وفي التعويض إلا أنه لن يغير شيئا من أن هذا النظام يسيطر على العمال لأنه نقطة القوة الإيجابية لدعمهم لهذا النظام "بالرغم من الثورة تغيرا كميًا على هذا فإن الإنسان ما يزال مقضيا عليه من قبل أدوات عمله بأن يكون عبدا في إطار تعقيل ناجع حافل بالوعود، ضمن سيمات التطور الاجتماعي أنه كلما ازدادت قدرة الحكام على توزيع المنتجات الاستهلاكية، ازدادت خضوع السكان وارتباطهم بثتى الفئات البيروقراطية الممسكة بزمام السلطة الآن"³.

¹ - وبرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص52.

² - المصدر نفسه، ص70.

³ - المصدر نفسه، ص78.

يبين ماركيز سلبيات النظام الاشتراكي وبيّن كيفية استعباد النظام الفرد وذلك عن طريق كيفية أن الحكام يوزعون المنتجات الاستهلاكية فيجعلون بهذه الطريقة الفرد عبداً تحت سيطرتهم وبذلك يخضع الفرد لهذا النظام ويكون تحت السيطرة الكاملة.

المطلب الرابع: انغلاق العالم السياسي

يحاول ماركيز الانطلاق من آفاق الانطلاق فيطرح تساؤل حول: هل ثمة أمل في تحطيم الترابط بين الإنتاجية والاضطهاد المتعاضمين؟ فينطلق أولاً من فرضيات من أجل الإجابة على هذا التساؤل "للإجابة عن هذا التساؤل تقتضي أن نسقط أبعاد التطورات الراهنة على شاشة المستقبل مفترضين استمرار التطور السنوي نسبياً وإهمال إمكانية الحرب النووية الواقعية ولسوف نفترض أن العدو سيبقى أي أن الشيوعية ستستمر في تعاشها مع الرأسمالية ولسوف تكون الرأسمالية في هذه الحالة قادرة على المحافظة بل على رفع مستوى الحياة بالنسبة إلى عدد متعاضم من السكان"¹، إن ما نجد أن المجموعات الإنتاجية تعتمد على العسكريين لضمان أمنها وتطورها في محاولتها في تحطيم الاضطهاد فالمجتمع يتطور ويحافظ على بقائه انطلاقاً من إسقاط تطورات الراهنة على المستقبل، فنجد أن افتراضية ماركيز في أن المجتمع الرأسمالي يعيش مع الاتجاه الشيوعي وأعطى إمكانية البقاء الرأسمالي في المحافظة وعلى رفع المستوى عدد كبير من الناس. على الرغم من الانتكاسات المادية والفكرية التي أحدثتها الشيوعية والفاشية ونجد أن مثل هذا الوضع ستكون له نفس

¹ - هبرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابلشي، منتدى مكتبة الإسكندرية منشورات دار الآداب، بيروت، ط3، 1988، ص69.

الأسباب المادية دوماً "أ - عمل متنامية، ب - ارتفاع معدل الولادات، ج - اقتصاد قائم على الدفاع، د - ارتباط اقتصادي وسياسي وثيق بين البلدان الرأسمالية ورسوخ علاقتها بالبلدان المختلف".¹ وبهذا يبقى نزاع دائم بين الإنتاجية وبين استخدام هذه المردوديات والأغراض التدمير والاضطهاد من الأسباب المادية المذكورة نفهم أن من الإنتاج هو السبب في خلق النزاع وحول كيفية استغلاله.

"لابد من التخلص من فائض المردودات وخلق الحاجة إلى شراء بضائع يمكن بيعها بربح وخلق الرغبة في العمل لإنتاج هذه البضائع وتوزيعها وهكذا يتجه النظام نحو إدارة توجهها الهيئات العامة والخاصة وبهذا تتدعم علاقات المصالح بين الشركات الكبيرة العامة والخاصة وزبائنها ومستخدميها. وبهذا يكون طابع القوى المنتجة قد تبدل"²، يرى ماركيز أنه لابد من التخلص من فائض المردودات، مردودات الأسباب التي ذكرها من قبل ومن خلق الحاجة للشراء وأيضاً خلق الرغبة في العمل من أجل الإنتاجية وذلك عن طريق نظام إداري يوجه العمل عن طريق هيئات عامة وخاصة من أجل تدعيم علاقة بين الشركات الخاصة والعامة وبهذا تتبدل القوى المنتجة، "إن التأليل إذا ما غدا في ذاته صيرورة الإنتاج المادية أحدث ثورة في المجتمع رسمته وا إذا ما أدرك تنبؤ قدرة العمل البشرية قمة الكمال حدث انفجار في الشكل المتشئ فإذا ما تحقق تأليل تام شامل في ميدان الضرورة استفاد الإنسان من وقته حر مديد إلى درجة يستطيع معها أخيراً أن يعطي حياته الخاصة والاجتماعية الشكل الملائم

¹ - هربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص70.

² - المصدر نفسه، ص70.

وبذلك يكون قد وجد التعالي التاريخي نحو حضارة جديدة¹ إن التآليل حسب ماركيز إذا ما استمر في صورة الإنتاج المادي يحث ثورة في المجتمع ككل وإذا ما استمر الفرد في سلسلة من الأعمال أصبح عبدا لعمله فتحقيق التآليل يجعل من الإنسان يستفيد من وقت حر وذلك إذا كان التآليل شامل مما يسمح للفرد بإعطاء لحياته وقتا وشكلا ملائما ومنه يتعالى عن التاريخي ويتجه نحو حضارة جديدة بكل ملائم أكثر وهذا ما يجده ماركيز أن المنظمات العالمية والرأسمالية تعارض التآليل "الرأسمالية محقة في معارضتها التآليل الذي لا يعوض عن نقص الاستخدام فهي تطالب باستخدام أكبر قدر ممكن من قوة العمل البشري في الإنتاج المادي كما أنها تعارض استخدام الرأسمالية بأنجع صورة ممكنة وتعمل على مقاومة تضاعف الجهود".²

"في سبيل زيادة إنتاجية العمل، وبعبارة أن المقاومة الدائمة للتآليل يمكن أن تضعف قدرة الرأسمالية على المزاومة القومية والأهمية وأن نسبب انتكاسا طويل الأمد، فؤجج بالتالي جذوة صراع المصالح التطبيقية وهذا الاحتمال يصبح حقيقة واقعة في الوقت الذي يتحول فيه ميدان الصراع بين الرأسمالية والشيوعية من الصعيد العسكري إلى الصعيد الاجتماعي والاقتصادي. وفي هذا التطور السريع للتأهيل تهديد للرأسمالية"³ تعارض الرأسمالية التآليل لأنها وبكل بساطة تستخدم أكبر قدر ممكن من اليد العاملة من أجل الإنتاج المادي فهي تطالب بمضاعفة الجهود أكثر من أجل زيادة إنتاجية العمل فالتآليل كما

1 - وبرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 72.

2 - المصدر نفسه، ص 72.

3 - المصدر نفسه، ص 72.

ذكر ماركيز يضعف من الرأسمالية ويسبب الكسل فالتأليل تهديد كبير للرأسمالية فهو يهدد أهدافها ومصالحها كما يحاول ماركيز أن يحدث تغييرا "يمكن عن طريق تغير تدريجي الوصول أن التغير الكمي ينبغي أن يتحول إلى تغير نوعي الشيء الذي يعني أن الدولة والحزب والخطة ينبغي أن تنقرض باعتبارها قوة مستقلة مفروضة على الأفراد وبمقدار ما إن هذا التغير لن يمس قاعدة المجتمع للمادية فسيفتصر على ثورة سياسية وإذا ما كان لهذا التغيير من أن يكون فإنه سيكون أكمل ثورة في التاريخ وأعظم الانقلابات الجذرية"¹، يرى ماركيز بضرورة إحداث تغيير تدريجي من الكمي إلى التغير النوعي وعن ذلك الدولة والغرب وغيرها عليها أن تنقرض وذلك لأنه اعتبرها ستحدث ثورة سياسية وذلك بإغلاق العالم السياسي من أحزاب ودولة وذلك عن طريق الانقلابات التي ستحدث ضد الدولة وأحزابها السياسية وهذا ما سماه ماركيز ثورة تغييرية في التاريخ وأعظم ما يحدث في التاريخ عن طريق الانقلابات الجذرية فالانتقال بهذا المستوى من التغير بشكل صيرورة ثورية أكثر منها تطويرية ونجد ماركيز ينطلق من أن "البيروقراطية الراسخة الأقدام ستقاوم أولا بكل قواها هذا التطور وهي تجد في الكفاح المستميت ضد العالم الرأسمالي ميمز إن تلك المقاومة باعتبار أن الكفاح هو أحد الشروط الأساسية للتحرر وإذا كنا نريد فهم هذه الظاهرة ينبغي لنا الابتعاد عن مفهوم "الحاجة الفطرية إلى السلطة" الذي هو عديم النفع لنا بالمرّة من هذه الزاوية"². إن من مفاهيم الانغلاق للعالم السياسي أنه من واجبنا التخلي عن مفهوم

¹ - وبرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص79.

² - المصدر نفسه، ص80.

الحاجة إلى السلطة تلك الفكرة التي ترسخت في أذهاننا علينا أن نبتعد عنها ونزيلها لأنه في رأيه عديم النفع ويرى أن الكفاح هو أساس التحرر وإذا كانت البيروقراطية تمنع التطور الذي يستدعي التقييم النوعي فلا بد لها من إيقاف التطور المادي والفكري عند مستوى معين "فالثورة المبدئية أو الأولية التي يتوجب عليها عند إلتغائها الاستغلال المادي والعقلي أن تقيم الشروط لتطور جديد لا يمكن تصورها إلا بصعوبة في شكل عمل عفوي وأكثر من ذلك لا يمكن أن يوجد شكل من التقدم متلائم مع طبيعة البلاد إذا حدث تغير في سياسة الكتلتين الصناعيتين الكبيرتين اللتين تصنعان البلاد إلا إذا حدث تغير في سياستهما وأعني بهذا التغيير التخلي عن الاستعمار الجديد بمختلف أشكاله"¹، في محاولة ماركيز لإحداث تغير سياسي أراد إحداث ثورة أولية من أجل إقامة تطور جديد بحيث أن هذا التغيير السياسي لا يمكنه الحدوث والتقدم إلا بتغيير الكتلتين الصناعيتين الكبيرتين في سياستهما وكذلك التخلي في ثورته السياسية عن الاستعمار الجديد بكل أشكاله والذي لن يحدث هذا التغيير في الوقت الحاضر.

المبحث الثاني: التغيير السياسي وبيادر التحرر الجديدة

المطلب الأول: وهم الحرية

تعرف الحرية بأنها إمكانية توفر للفرد اتخاذ قراراته أو تحديد خيار من عدة تيارات متاحة أمامه دون وجود أي نوع من أنواع الإكبار أو الشرط أو ضغط خارجي كما أن الحرية هي عبارة عن التحرر من القيود سواء كانت مادية أو معنوية، وبمعنى آخر هي

¹ - وبرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، مصدر سابق، ص 83.

التخلص من العبودية والتخلص من كل أشكال الإجبار والرفض، أما الحرية هي فكر ماركيز فهي حرية من أجل الثورة والتحرر فهو يرى أن التحرر الفردي والجماعي الذي يكون أساسه الوعي، لا يكون تلقائياً عفويا بل يكون حسب ماركيز منهج العمل ويكون ذلك بتربية الأجيال على المطالبة بالتحرر من كل سلطة قمعية، فهو يرى أن التحرر ينبع من داخل الإنسان من وعيه وإنسانيته، ثم يعمم ليتحرر المجتمع وجميع أفرادها، وهنا يقول ماركيز مؤمنا بوعي الحرية كشرط للتحرر "ولئن كان صحيحا أنه من الواجب أن يتحرر الشعب من عبوديته، فمن الصحيح أيضا أنه ينبغي أولاً أن يحرر نفسه مما صنع به في المجتمع الذي فيه يحيا، ولا يمكن لهذا التحرر المسبق أن يكون عفويا لأن عقوبة كهذه لن تعتبر إلا عن القيم والأهداف المنتقبة من النظام القائم"¹ نفهم من هذا أنه لا يمكن لأي شعب أن يتحرر قبل أن يتحرر أولاً من ذاتيته ومع ذلك تكشف عن أن تلك الإنتاجية الهائلة في مجتمع التقدم الصناعي ذاتها قد تحولت من وسيلة تحرر إلى وسيلة عبودية جديدة وسيطرة وتشؤ لا تستهلك عناصر الوجود الاجتماعي للإنسان المعاصر فحسب. بل وحتى وجوده الحيوي البيولوجي²، وذلك أن الفرد هنا قد أصبح مأخوذاً بجماع شخصه في عملية الإنتاج.

ويؤكد ماركيز أن الحرية هي التحرر والتحرر هو أن يتدبر الإنسان أمره داخل النظام فهو لاحظ أن الحرية مفقودة، وأول مظاهر زوال الحرية هو القمع الذي فرضته سلطة

¹ هيرت ماركيز: الثورة والثورة المضادة، ص 57.

² هيرت ماركيز: الثورة الجديدة، ص 37.

النظام، وأوله قمع اللذة التي يرى فيها فرويد أساس الحضارة وأساس استمرار الفرد والمجتمع. فماركيوز يرى أن تحرير اللذة هو أساس بناء الحضارة، فإذا استطاع الإنسان التحرر استطاع أن يمتلك حريته والطبيعة وبحررهما من سيطرة الرأسمالية والأنظمة القمعية وبالتالي يستطيع أن يحقق بواسطة هذا التحرر أبعاده الفنية والجمالية، فالجمال عند ماركيوز يعبر عن الحرية فهو يعتبر إحدى القوى المحركة للتغيير الاجتماعي والإنساني لماله من تأثير في الأفراد والمجتمعات، وهنا يؤكد ماركيوز أنه صحيح أن البعد الجمالي بعد حيوي للحرية...

وأنه مطالب بالتالي بأن يكون له مظهر صفة أساسية من صفات مجتمع حر".¹

ويوافق على هذه الأفكار الماركيزية أحد المفكرين الذي يحسبون لمدرسة فرانكفورت في بناءها النفسي ألا وهو إيريك فروم Ebrick From ومن خلال كتابه "الخوف من الحرية" يؤكد فروم أن الصراع من أجل الحرية هو صراع لإثبات الوجود الإنساني فعندما تقتل طبقة من الطبقات من أجل تحررها من السيطرة تؤمن بأنها تقاوم من أجل الحرية الإنسانية... إن الشوق للحرية ضرور في جميع المواطنين فالموت المحركة ضد الاضطهاد أفضل من العيش بدون حرية".²

الأكد أن الحرية تتوقف إلى حد بعيد على التقدم النقي ومكاسب العلم، يجب أن لا نضيع إزاء ذلك عن رؤية الشرط الجوهري، وهو أن على العلم والتكنولوجيا كي يصبح في مقدورهما أن يكونا عاملي تحرير عليهما أن يبدل اتجاههما وأغراضهما الراهنة، عليها أن

¹ - هريبرت ماركيوز: الثورة والثورة المضادة، ص 80.

² - إيريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1972م، ص 11.

يتجردا طبقا لحساسية جديدة، ومقتضياتها الملزمة.¹ وعند ذلك وحده يمكن الحديث عن تكنولوجيا تحرير ثمرة خيال علمي حيث طرح ماركيز تصورًا خاصًا لآلية تجاوز واقع حال الاغتراب والتشويء الذي يشمل مختلف جوانب حياة إنسان ومجتمع التقدم التكنولوجي المعاصر. حيث يلعب فيه الفن المحتلة دورًا فاعلا وأساسيا في الكف عن ضرورة قيام ثورة في الإدراك والوعي، تمنح الوجود البشري الحر أكبر قدر من الوحدة والقيمة وتقضي بشكل طبيعي إلى تحقيق تغيير حقيقي في واقع وبنية المجتمع الصناعي المتقدم من الناحيتين المادية والفكرية، ومنع إعادة بناء مجتمع حر يلي حاجات واقعية وخفيفة لأناس أحرار. ذلك أن بناء مثل هذا المجتمع مما يمكن التفكير فيه يعبر حساسية جديدة ووجدان جديد عند الناس.² نفهم من هذا أن الكيفية التي على نحوها أمكن لعقلانية الحضارة التكنولوجية المتقدمة من أن تحول النزوات الفردية كما الأشياء كلها إلى أدوات عاملة في مجموع الثنائي.

المطلب الثاني: اليسار الجديد

اليسار الجديد مفهوم ظهر مع هاربرت ماركيز للدلالة على القوى الجديدة التي عوضت البروليتارية المعرض التقليدي للنظام الرأسمالي، لأنه يعتقد أنها لم تعد قادرة بعد على ممارسة التفكير السالب في الشروط المعارضة، إلا أنه لازال متفائلا إلى حد كبير بالقوى الرافضة التي لم تستطع الإيديولوجية القائمة احترامها، لأنها أصبحت جزءا من النظام

¹ - هربرت ماركيز: ثورة جديدة، ترجمة: عبد اللطيف شراري، دار العودة، بيروت، 1971، ص41.

² - المصدر نفسه، ص44.

القائم، وتخلت عن دورها التاريخي منذ أن قبلت الاشتراك في اللعبة البرلمانية. من هذا المنطق تصبح القوى النافية الجديدة هي التي لم تندمج بعد في إطار هذا النظام العام، والتي لم تتطور داخل مؤسساته السياسية ويرفضها الاشتراك في قواعد اللعبة البرلمانية المعمول بها في النظام القائم، ويعبر ماركيز عن خصائصها فيقول: "وهذه المعارضة غير مزودة بأساس طبقي تقليدي، وهي تتراءى مكانها عصيان سياسي وأخلاقي دفعة واحدة تلك ملامح غير مستقيمة تكيف إستراتيجيتها وتمدد ساحة عملها وهي لا توفر الديمقراطية الليبرالية ولا البرلمانية القائمة وتحمل على جملة تنظيم المجتمع".¹

اليسار الجديد من العملية السياسية له ما يبرره على المستويين النظري والعملي، فعلى المستوى النظري يعتبرها عملية ملغومة على اعتبار أن مشاركته فيها ستكون شكلية فقط، وعلى المستوى العملي أنها لا تلبى مطالبه الحياتية الضرورية على اختلافها. لذلك فهو بنفر منها كليا ينتفض ضدها كلما وجد إلى ذلك سبيلا فيرفض التنظيمات الحزبية لنقل الدائرة السياسية بكاملها لأنه يطبع بطابع نقرة قوية من السياسة التقليدية من نظام الأحزاب كله. وفئات الضغط على جميع المستويات ومن الإسهام في هذا النظام، هذه الطرائق، هذه الدائرة السياسية أو هذا الحد السياسي وضع برمته موضع اتهام. فما لتصريح يمكن أن يدلي به أولئك السياسيون والممثلون والمرشحون أية قيمة في نظر المتمردين، إذا سيحيل على هؤلاء أن يأخذون مأخذ الجد".²

¹ - هربرت ماركيز: ثورة جديدة، ترجمة: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، 1971، ص105.

² - المصدر نفسه، ص105.

صحيح أن الصراع في المجال السياسي يكون مفصولا عن الطابع الأخلاقي إلا قليلا، لذلك يعتبر ماركيز أنه بالرغم من قوة النظام السياسي المسيطر على أركان الدولة، إلا أنه في مقدور اليسار الجديد من داخله ومن خارجه مقاومة كل المعاملات السيئة والأخلاقية التي سيتلقاها من جراء معارضته، ومؤكدا في نفس السياق على أن الخيار ليس له أخباره، لأن المنظومة القمعية هي التي تضطره إلى أن يسلك هذا الطريق الشاق، بحيث يقول "...رغم أنهم يعرفون حق المعرفة أن ذلك سيعرضهم لسوء المعاملة والسجن وخسران عملهم وحيث أنهم ليسو من محترفي الاستشهاد فهم يفضلون ولاشك أن لا تساء معاملتهم وأن لا يدخلوا السجن، ولا يخسروا أعمالهم، إلا أن أمرهم ليس خيارا بالنسبة لهم".¹

ومنه يتضح أن دائرة اليسار الجديد تتسع لتشمل في البروليتارية نفسها بالمعنى التقليدي لها، وعلى اعتبارها أن ماركيز لم يترك عنصرا معارضا إلا وأدخله في تصوره الرافض للسيطرة على الإنسان، فالقاسم المشترك بينهم أنهم طبقية محرومة من الامتيازات داخل الحضارة القائمة إلى هذا الأساس تزداد الفوارق الطبقية شيئا فشيئا بحيث تصبح لهذه الطبقات القابلة للإِنفتاح على أشكال ثورية مختلفة.

تلك إذن هي معادلة الثورة عند ماركيز على اعتبار أن طبيعة نظام الاستهلاك هو الذي يحدد مدى النماء هذه الطبقات المحرومة على اختلاف درجات تباعدها من النظام القائم ومن إيديولوجية الاستهلاكية المسيطرة.

¹ - هربرت ماركيز: ثورة جديدة، مصدر سابق، ص106.

ومن هنا يأتي وعد التحرر الذي يمكن أن تنتفعه هذه القوى، خاصة وأن تنميط المجتمع الاستهلاكي لم يشملها، أما الطبقات التقليدية التي توت إليها النظرية الماركسية مبادرة التحرر فإنها في ظل التكيف المستمر لنمط حياتها نزعت نحو الاندماج ورضيت بالامتيازات التي قدمها لها المجتمع الصناعي المتقدم، في هذا السياق يأتي قول ماركيز و¹ إذا كانت البروليتارية أو القوة التقليدية للثورة فقدت ثورتها لأنها أصبحت جزءا من النظام القائم، وتخلت عن دورها التاريخي منذ أن قبلت الاشتراك في اللعبة البرلمانية، فإن القوى التي لم تندمج بعد في إطار هذا النظام، والتي لم تتطوي داخل مؤسساته السياسية، والتي ترفض الاشتراك في قواعد اللعبة البرلمانية¹.

هكذا فهذه القوى الجديدة بالنسبة له ولأنها تعيش خارج المجتمع وعلى هامشه وغير مندمجة بشكل كامل في منظومة الاستغلال فإنه لم يشملها التنميط الذي ساد أعضاء المجتمع القائم، والملاحظ من كل هذا أن حركة اليسار الجديد لا تتناسب تماما، من حيث قوتها مع حجم الخصم الذي تواجهه والذي يتمثل في أيديولوجية المجتمع القائم وبالرغم من ذلك فبإمكانها التعبير عن ذاتها وتحقيق مطالبها المشروعة والدليل هنا هو الحركات التحررية في التاريخ مثال: حركة الحقوق المدنية* التي سادت في أمريكا في القرن الماضي فقد حققت مكاسب لا زالت قائمة إلى الآن بفعل النضال الثوري وفي هذا السياق يقول توم

¹ - حسن محمد حسن: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ماركيز نموذجاً، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2001، ص205.

* - حركة الحقوق المدنية: هي حركة اجتماعية في الولايات المتحدة كان هدفها تجريم التمييز العنصري ضد الأمريكيين الأفارقة وإعادة حق التصويب لهم كان أبرز نشاط هذه الحركة بين عامي 1955-1968 على وجه الخصوص جنوبي

الولايات المتحدة عن موقع الموسوعة ./<http://ar.wikipedia.org/>

بوتومور 'فدراسة حركات الناس الفقراء في الولايات المتحدة الأمريكية تؤدي إلى استنتاج أن النفوذ الذي امتلكته كان مستمداً من الاحتجاجات الجماهيرية أكثر من المساهمة في السياسة الانتخابية"¹. وفي سياق لا يجب أن ننسى هذه الحركات التحررية قد تفتح على مجموعة من الأشكال الثورية العنيفة للتغيير عن حجم الظلم الاجتماعي الذي لحق بها جراء هذه القوة ورغم ذلك فماركيوز يبدو متفائلاً بحركات الشباب حيث يقول: "اليوم نجد انتفاضة المنورة من الشباب يطالب قبل كل شيء في عملها السياسي بالاعتراف بقيمة الخيال والحقيقة، وحركتها برمتها إنما تطور أشكال سيربالية* من الاحتجاج الراض وربما كان هذا التطور الطفيف بمعناه ظاهراً، على ما تعبر أساس في الوضع"² يحاول ماركيز إيجاد سند إيديولوجي يغذي حركة اليسار الجديد، فهي مع كونها متأثرة بالماركسية بشكل كبير، إلا أنها تستوحي أفكارها أيضاً من حركات التحرر من العالم الثالث.

يراهن ماركيز على سواعد اليسار الجديد من حيث كونه حركة فكرية وثقافية فالتعبير يبدأ بتغيير الأفكار السائدة، واستبدالها بأخرى أكثر ملائمة للمرحلة لإيمانه بضرورة التغيير الاجتماعي، وبإمكانية تجاوز التناقضات القائمة في المجتمع الصناعي وخلص إلى أن مهمة التحرر في المرحلة المعاصر مرهونة في يد الفئات التي لم يشملها الاحتواء من طرف النظام القائم وهو ما اصطلح عليه باليسار الجديد ووصفهم كالتالي "إنهم بدورهم

¹ - توم بوتومور: علم اجتماع السياسي، ترجمة وميض نضيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، مارس 1986، ص 124.

* - سيربالية أو الفراقعية أي فوق الواقع وهي منصب فرنسي حديث في الفن والأدب يهدف إلى التعبير عن العقل الباطن، عن موقع الموسوعة <http://ar.wikipedia.org/>.

² - هيربرت ماركيز: نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 57.

مضطهدون هامشيون لا تلوثهم حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة، ولم يلتزم بعد بقيمتها التجارية الانتهازية فالطلبة بكل ما يقومون بها بحركات متمردة ليسوا هم القوى الثورية ذاتها. كما أن الشباب الثائر على التقليد ليسوا خلفاء البروليتاريا ووزنها في النصف الثاني من القرن العشرين وإنما يكشفون سلوكهم عن رفض المجتمع القائم ورفض التمتع بمزايا الوفرة التي يقدمها المجتمع وكذلك رفض قيمة التجارية وإحلال قيم الحب والجمال محلها".¹

لم يعول ماركيز فقط على القوة الكامنة في تلك الفئات بل حاول ربطها بفئات أخرى وبالعالم مختلف، لكنها لا تقل أهمية عنها، أي القوة الراضة الكامنة في بلدان العالم الثالث، صحيح أن ماركيز لم يخصص لبلدان العالم الثالث عملاً مستقلاً بينه، ويرجح الدارسون سبب هذا الاهتمام إلى "الهزة الحقيقية التي زعزعت أركان المجتمع الرأسمالي كانت الثورات التحرر التي نشبت في بلاد مختلفة فالتغيير الذي أحدثته ثورة الجزائر في فرنسا، والذي أحدثته ثورة فيتنام* في فرنسا أولاً ثم في الولايات المتحدة الأمريكية فلغة الرأسمالية الكبرى في العالم المعاصر كان تغييراً هائلاً لا تزال آثاره تتكشف يوماً بعد يوم...".²

فالقوى الثورية الكامنة في حركات التحريرية الوطنية في العالم الثالث لها قواسم مشتركة مع الفئات الأخرى فهؤلاء يشتركون مع الفئات الأخرى من حيث كونهم جميعاً

¹ - فؤاد زكريا، هريرت ماركيز، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2005، ص65.

* ثورة فيتنام أو حرب فيتنام أو الهند الثانية، كان نزاع بين جمهورية فيتنام الديمقراطية (فيتنام الشمالية) متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية ضد جمهورية فيتنام الجنوبية مع حلفائها وكانت الو.م.أ. إحداهم بين 1956-1975.

² - فؤاد زكريا: هريرت ماركيز، مرجع سابق، ص66.

ينقاسمون مكانة واحدة "فتوار العالم الثالث أيضا مضطهدون هامشيون لم تلوثهم حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة ولم يلتزموا بعد بقيمتها التجارية الانتهازية".¹

ويلخص ماركيز هذا الجمع الذي تم في اليسار الجديد في فقرة من كتابه بعنوان "نحو ثورة جديدة" قائلاً "الأمر إذا أمر عصيان أخلاقي، بمقدار ما تتوجه الانتفاضة ضد مجتمع يقوم فعلاً بوظائفه، مجتمع مزدهر و(ديمقراطي) وهذا العصيان يصوب سهامه إلى الرياء والروح العدوانية، وقيم هذا المجتمع وأهدافه وديانته وكل ما يأخذ مأخذ الجد، وجميع المبادئ التي يدعي أنه يحترمها وينهكها على الدوام".² هكذا يضعنا ماركيز أمام الإمكانيات المتعددة للتحرر والتي من المحتمل أن يقودها أناس يعيشون على هامش هذا المجتمع ولا ينقاسمون مع مستبديه مع خيراتهم.

¹ - أحمد قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص164.

² - هاربرت ماركيز، الحضارة نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص106.

خاتمة

خاتمة:

معهد البحوث الاجتماعية الذي تأسس عام 1923 في ألمانيا نتيجة للظروف السياسية والإيديولوجية والفكرية والثقافية والاجتماعية التي كانت موجودة خلال فترة ما بين الحربية العالميتين الأولى والثانية ظهرت مجموعة من الشبان الباحثين في ألمانيا متأثرة بأفكار ماركس وكانت تعمل هذه الجماعة في معهد البحث الاجتماعي بمدينة فرانكفورت والتي سعت بصفة عامة لإعادة تقييم الفكر الماركسي وحاولت إخراج هذا الفكر بتصوير جديد يتماشى مع تيارات الفكرية الأخرى.

إن أهم الرواد لهذه المدرسة ماركيز وأدورنو وهوركهايمر وفروم بالإضافة إلى هابرماس الذي يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لمدرسة فرانكفورت ويمثل الجيل الثاني لها. النظرية النقدية من قبل أعضاء مدرسة فرانكفورت ينقد الوضعية والإيديولوجية وتجاوزت بنقدها كل أفكارها.

لم تنتقد مدرسة فرانكفورت الماركسية فقط بل ركزت أيضا على دراسة ونقد الرأسمالية بصورة مكثفة فهذا ما ظهر خلال فترة إقامة رواد المدرسة بالولايات المتحدة مما جعل منهم يدرسون واقع الرأسمالية بصورة عملية وواقعية والتعرف عن قرب على مشكلات الرأسمالية ومن روادها ماركيز الذي درس واقع الرأسمالية عن كثب أكثر من غيره.

كما نجد ماركيز يتخذ من أفكاره الفلسفية مصمما سياسية تخفف ما ينبغي أن يكون عليه الواقع السياسي والاجتماعي.

فالنظرية النقدية لماركيوز والتي تمثلت في نقده للوضعيات بحيث أن الوضعيات تعد عمليا إلى موقف يعلق الباب أمام التغيير لأنها ببساطة ترى الحقيقة في الواقع القائم لا في إمكاناتها وبهذا حسب ماركيوز أي أن تصور ثوري عن المجتمع الإنساني يجب أن يتخلص من الوضعيات ويتجاوزها.

وفيما يخص أفكاره الفلسفية،

-فقد شملت تحليلات ماركيوز النقدية المجال الثقافي من حياة الإنسان والمجتمع في محاولته إظهار حقيقة التحول الذي خضعت له مكونات الثقافة في المجتمع الصناعي المتقدم انطلاقا من معاشة واقع المجتمع وعلى الخصوص المجتمع الأمريكي.

-أما فيما يخص إيروسيته فنجد أن ماركيوز لم يحدد لنا نظاما أخلاقيا أو نسقا قيميا لكنه يرفض اختزال الإنسان في بعده المادي كما رفض السيطرة أن تنال من طبيعته الغريزية خاصة فيما يتعلق بغرائز الحياة فماركيوز يعتقد أن الإيروس إمكانية كامنة في حياة الإنسان تمكنه من أن يتجاوز عالمه ذا البعد الواحد.

-كما تضمنت تحليلات ماركيوز للمجتمع الصناعي المتقدم توظيفا لمقولاتي الحقيقة والذائف فجعل ماركيوز الوعي موضوعا للتأمل ومنح العقلانية التكنولوجية المصدقية بحكم أنها قادرة على توجيهه وتجسيده وتوجيهها وعلى تلبية متطلبات الإنسان باستمرار إلى حد الرفاه فيتحدد وعي الإنسان دون توتر أو تناقض بينما هو واقعي وما هو حقيق.

-مع أن ماركيز بين مصداقية العقلانية التكنولوجية إلا أن موقفه منها عدائيا بسبب سيطرة التكنولوجيا والتي جعلت من الإنسان آلة إنتاجية.

كما نجد أن ماركيز لا يختلف عن ماركس من الرأسمالية فكلاهما يتوجهان ضد الليبرالية مع اختلافهما في كيفية النقد والضد.

-يقول ماركيز "العناد صفة أصلية للتفكير الفلسفي" فأن تكون عنيدا بعين أن ترفض المصالحة السهلة مع المجتمع.

-إن العناد الفلسفي فرض على ماركيز البحث في تجديد الماركسية وفتح المادية التاريخية على عناصر جديدة بحيث تتحول إلى نظرية متعددة الأنظمة لها القدرة على الفحص النقدي للمستجدات التاريخية من ثم تفتح الطريق للتغيير وتجاوز نظامي القمع والرأسمالية والاشتراكية.

-إن ماركيز يريد بنقده للرأسمالية والاشتراكية نظاما آخر أساسه الحرية وهو ما بينه في قوى التحرر "اليسار الجديد" نظام أساسه الحرية بعيد كل البعد عن الاضطهاد والقمع والتسلط.

-حسب ماركيز هذا لن يتم إلى في مجتمع حر تحرر من القمع أي مجتمع استطاع أن يتجاوز حالة إنسان ذا البعد الواحد وهذا المجتمع لن يبرز إلى الوجود إلا ما سماه مجتمع متحرر من كل أشكال القمعية.

إن ما يريده ماركيز هو نظام سياسي تتحقق فيه ذاتية الفرد.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر.

(1) هيريت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابلشي، منتدى مكتبة الإسكندرية منشورات دار الآداب، بيروت، ط3، 1988.

(2) هيريت ماركيز: العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

(3) هيريت ماركيز: ثورة جديدة، ترجمة: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، 1971.

(4) هيريت ماركيز: نحو ثورة جديدة، تر: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، د، ط، 1971.

(5) هيريت ماركيز، البعد الجمالي، ترجمة جورج طرابلشي، دار الأدب، بيروت.

(6) هيريت ماركيز: فلسفات النفي "دراسات هي النظرية النقدية"، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، الطباعة والتوزيع دار يوسف كمال للطباعة، ط1، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2012.

ثانياً: المراجع.

(1) أحمد قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هيريت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.

(2) إيريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1972م.

(3) بول لوران آسون: مدرسة فرانكفورت، تر: سعاد حرب، مصر، ط2، 2005.

(4) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، مراجعة محمد حافظ دياب، دار أوبيا، 2004، ط2، بيروت، لبنان.

(5) توم بوتومور: علم اجتماع السياسي، ترجمة وميض نضيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، مارس 1986.

قائمة المصادر والمراجع

- 6) توم بوتومور ، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، طرابلس، دار أويا، 1998.
- 7) جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والغربية والإنجليزية واللاتينية.
- 8) حسن محمد حسن: النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز، ط1، دار النشر، بيروت، 1971.
- 9) حسن محمد حسن: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ماركيز نموذجاً، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2001.
- 10) حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هيرت ماركيز، دار التوير للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ط1.
- 11) حسن مصدق: يورغان هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- 12) سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، ط2، 2000.
- 13) السيد ير ماكنثير، ماركيز، تر: عدنان الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1971، ط1
- 14) طاهر علاء ، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ط1، بيروت، مركز الإنماء القومي، دس.
- 15) عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1983م.
- 16) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 3، 2005.
- 17) فؤاد زكريا، هيرت ماركيز، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2005.
- 18) فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية، تر، خليل كلفن، القاهرة، 2004.

قائمة المصادر والمراجع

- (19) قيس هادي أحمد: الإنسان المعاصر عند هاربرت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ط1.
- (20) كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الاكهونين، الدار العربية للعلوم ، لبنان، 1431هـ-2016، ط1.
- (21) كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، ط1، 2012.
- (22) مجموعة مؤلفين: مدرسة فرانكفورت النقدية "جدل الاعتراف والتحرر والتواصل".
- (23) محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، كنموذج هابرماس.
- (24) هوركهايمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة: مصطفى الناوي، موجز المقالات، ط1، بيروت، 1990.
- (25) يورغان هابرماس: العلم والنفسية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، 2003.
- (26) يورغان هابرماس: المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، القاهرة، 2006.

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان

1

مقدمة

الفصل الأول: مدرسة فرانكفورت

- 4 المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (نشأتها، منهجها، منطلقاتها الفكرية، مؤسسيها)
- 5 المطلب الأول: نشأتها ومراحلها
- 9 المطلب الثاني: تعريف النظرية النقدية ومنهجها
- 11 المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية لمدرسة فرانكفورت
- 12 المطلب الرابع: أبرز الممثلين والمؤسسين
- 15 المبحث الثاني: أهم المصادر الفكرية للنظرية النقدية
- 15 المطلب الأول: نقد الهيكلية.
- 18 المطلب الثاني: نقد الوضعية.
- 20 المطلب الثالث: نقد الإيديولوجيا.

الفصل الثاني: فلسفة هاربرت ماركيز

- 21 المبحث الأول: ماركيز
- 23 المطلب الأول: حياته ومؤلفاته
- 26 المطلب الثاني: النظرية النقدية عند هاربرت ماركيز
- 31 المطلب الثالث: ماركيز وفلسفته.
- 37 المبحث الثاني: أهم أفكاره الفلسفية
- 37 المطلب الأول: الإنسان والوعي الثقافي
- 40 المطلب الثاني: الإنسان من الأيروسية إلى الجنسية
- 42 المطلب الثالث: الوعي بين الحقيقة والزيف

الفصل الثالث: السياسة الماركيزية

45	المبحث الأول: الثورة الماركيزية
46	المطلب الأول: ماركيز بين واقع الثورة وأحلام الفلسفة
48	المطلب الثاني: النضال ضد الليبرالية
51	المطلب الثالث: نقد الاشتراكية
54	المطلب الرابع: انغلاق العالم السياسي
58	المبحث الثاني: التغيير السياسي وبوادر التحرر الجديدة
58	المطلب الأول: وهم الحرية
61	المطلب الثاني: اليسار الجديد
69	خاتمة
72	قائمة المراجع
	فهرس المحتويات